أسس تفسير الأحلام

نحاول هنا بيان الأسس التي يعتمد عليها تفسير المنامات ، إذ المسألة – من وجهة نظري – أكبر من محاولة تفسير ما يراه النائم ؟ إننا لو حصرنا أنفسنا في هذه النقطة الأخيرة نكون قد بسطنا الموضوع وقربناه أكثر من اللازم ، وحصرناه في نقطة صغيرة من السهل جداً التعامل معها ، كما سيأتي .

وسوف نعتمد هنا على مقدمات المؤلفين الثلاثة وخاتماتهم في كتبهم : أي (ابن سيرين ، ابن شاهين ، النابلسي) فماذا عند هؤلاء الرجال الثلاثة ؟ إن في جعبتهم الكثير والكثير ، نبدأ ببعض الممهدات ، نثني خاتمين بأسس تفسير الأحلام فنقول :

١- ما أول رؤيا في التاريخ ؟ إنها رؤيا أبينا آدم – عليه السلام – فعن وهب بن منبه [١] (ت ١١٠هـ) قال :" أوحي الله تعالي إلي آدم – عليه السلام – أنك قد نظرت في خلقي فهل رأيتَ لك فيهم شبيهاً ؟ قال : لا يارب ، وقد كرمتني وخلقتني وعظمتني فاجعل لي زوجاً يشبهني أسكن إليها حتى توحدك وتعبدك معي ، فقال الله تعالي : نعم .

وألقي علي آدم – عليه السلام – النعاس ، فخلق منه حواء على صورته وأراه في منامه ذلك ، فانتبه وهي جالسة عند رأسه فقال ربه : يا آدم ، ما هذه الجالسة عند رأسك ؟ فقال آدم : الرؤيا التي أريتني في منامي يا ألهي[٢].

وجاء في قصص الأنبياء لابن كثير [٣] :" أخرج إبليس من الجنة ، وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها مستوحشاً غير مؤتنس بأحد ، فليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة استيقظ بعدها وعند رأسه امرأة قاعدة،خلقها الله من ضلعه فسألها: ما أنت ؟ قالت: امرأة ، ولم خلقتِ ؟ قالت : لتسكن إليّ ، فقالت له الملائكة – ينظرون ما بلغ من علمه - ما اسمها يا آدم ؟ فقال : حواء ، قالوا ولم كانت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي.

١- انظر ترجمته في صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢٩١/٢.
٢- ابن سيرين ١٦/١.
١- ١٤،١٥.

وهكذا قضت العناية الإلهية بأن يكون أول حالم في تاريخ البشرية هو رجل أو هو الرجل ، لأنه لم يك معه غيره ، ولكن موضوع هذا الحلم الأول لأبينا آدم – عليه السلام – هو المرأة الأولى في تاريخ بني آدم ، أمنا جميعاً حواء .

٢- ولكن هل الإيمان بالرؤيا الصادقة جزء من الإيمان بالله تعالي ؟ قد أورد النابلسى في مقدمة كتابه [٤] حديث :" من لم يؤمن بالرؤيا الصالحة لم يؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر " إذ رؤيا الأنبياء وحي – كما سبق – ورؤيا غيرهم إن فسرها نبي كانت حقاً صادقة ، والرؤيا الصالحة الصادقة جزء من النبوة أو هي من المبشرات .

٣- فإذا رام المرء رؤيا صادقة فماذا يصنع [٥] ؟

أ- ينام على وضوء وعلى جانبه الأيمن .

ب- يذكر الله ويدعو بهذا الدعاء المروي عن الإمام جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ وهو :" اللهم إني أسلمت نفسي إليك ،ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، رهبة ورغبة إليك ، لا ملجأ ولا منجي إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت تباركت ربنا وتعاليت ، أنت الغني ونحن الفقراء إليك ، أستغفرك وأتوب إليك ، يارب : أنا هارب منك إليك ، اللهم أرني رؤيا صادقة غير كاذبة ، صالحة سارة، غير محزنة ، نافعة غير ضارة ".

يقول ابن شاهين [٦] : وإذا استيقظ يذكر الله تعالي ، ويقص رؤياه على معبر ، ومهما عبر له يعتمد عليه .

أما ابن سيرين [٧] فيري أنه لكي تصدق الرؤيا فعلي المرء ما يلي :

أ- أن يتعود المرء الصدق في أقواله ، كما سبق .

ب- أن يحافظ على الفطرة جهده ، كيف ؟ لقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يسأل أصحابه كل يوم : هل رأي أحد منكم البارحة رؤيا ؟ فيقصونها عليه فيعبرها لهم ، ثم سألهم أياما فلم يقص عليه أحد منهم رؤيا ، فقال لهم:" كيف ترون وفي أظفاركم الرَّفَع[٨] " وذلك أن أظفارهم قد طالت ، وتقليمها من الفطرة .

٢- ١/ ٣.
٣- ابن شاهين ٢/ ٣٦٢.
١- السابق .
٢- ١/ ١٨.
٣- الرَّفَع : كل موضع يجتمع فيه الوسخ من البدن ، انظر : المعجم ، الوسيط ٣٧٤/١.

جـ- أن لا ينام على فكرة وتمني شيء مما رآه .[9]

ء - أن يحدث بالصدق ، ويكره الكذب من غيره .

هـ - أن يحذر الثلاثي المدمر : (الكذب – الغيبة – النميمة [10]).

ومن الجدير ذكره هنا أن الميت في دار الحق ، فما قاله للرائي في المنام فهو حق ، كذلكم الطفل الذي لا يعرف الكذب ، إضافة إلي أن الدواب وسائر الحيوان والطيور إذا تكلمت في المنام للرائي فقولها حق ، وبشكل عام فإن كلام مالا يتكلم كالجمادات هو آية وأعجوبة ، وهو كلام مصدق .

ومن ناحية أخري وتأسيساً على ما سبق فإن كلام الكاذب في اليقظة كالمنجم والكاهن هو أيضاً كاذب في المنام كذلك [11]، فالصدق في اليقظة يؤدي إلي صدق المنام ، والعكس صحيح، كاذب اليقظة غير مصدق أيضاً في الرؤى والمنامات .

٤- فما جزاء من يكذب في رؤياه ؟ روي عن النبي – صلي الله عليه وسلم - :" من كذب في الرؤيا كلف يوم القيامة عقد شعرتين ، ومن كذب على عينيه لا يجد رائحة الجنة ، وإن أعظم الفرية أن يفتري الرجل على عينيه ، يقول : رأيت ولم ير [12] شيئاً ".

وينقل النابلسى [13] عن بعض العلماء :" الكاذب في الرؤيا مدعي النبوة لأنه ورد في الحديث أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة ، ومدعي الجزء كمدعي الكل.

٥- فهل من الممكن أن تكون الرؤيا لغير الرائي ؟ نعم ، فكيف ذلك ؟ يقول النابلسي :" وقد يري المرء الرؤيا فتكون لغيره كأبي جهل بن هشام الذي رأي في المنام أنه دخل في دين الإسلام ، وبايع رسول الله – صلي لله عليه وسلم – فكان لهذا لابنه عكرمة ، رضي الله تعالي عنه[14] .

أما حَبْر المعبرين ابن سيرين فيقول :" وربما رأي الإنسان الشيء فعاد تأويله إلي شقيقه أو سميّه أو صديقه أو جاره أو شبيهه في فن من الفنون " ولكن ابن سيرين [15] ينبه إلي شيء مهم ، هو :" ولا تنقل الرؤيا أبداً برأسها عمن رؤيت له إلا أن تليق به معانيها ".

٤- ابن سيرين ص ١٨/١.
٥- النابلسي ص ٦/١.
١- السابق .
٢- النابلسي ، ٧/١.
٣- السابق .
١- السابق .
٢- ٥/١ .

ويفهم مما سبق أن الأصل في الرؤيا إنما يكون لمن رؤيت له ، لا تنصرف لغيره إلا أن تليق به ، ولا تليق بمن له رؤيت ، فقد رأيت ذات مرة أن أحد أصدقائي واسمه (عمر) قد بني قصراً في دمياط الجديدة ، ولكن اتضح أن الباني ليس عمر ، وإنما هو (مصطفي) إنه يعمل معي في نفس بالجامعة وفي ذات التخصص ، وقامته قريبة من قامة الصديق الآخر ، ويجمع بينهما معرفتي بهما وصداقتي لهما . والرأي أن الذاكرة مسئولة عن هذا اللبس ، إن الذاكرة قد تخون صاحبها في حال اليقظة ، فما بالنا في الرؤى المنامية ، هذا ما أراه ، والعلم عند ربي .

٦- فما هي أصناف الرؤيا الحق وأضرابها ؟ يجيب النابلسى عن هذا التساؤل بقوله : الرؤيا الحق خمسة أصناف [١٦] :

أ- الرؤيا الصادقة الظاهرة ، مثل رؤيا الأنبياء ، إبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – وهي جزء من النبوة ، أو هي وحي من الله – تعالي لأنبيائه.

ب- بشري من الله : قال – صلي الله عليه وسلم - :" خير ما يري أحدكم في المنام أن يري ربه أو نبيه أو يري أبويه مسلمين[١٧]" فالرسول – عليه الصلاة والسلام – يحدد للرائي خير ما يراه ، رؤيا الله أو النبي أو الأبوين المسلمين .

جـ- ما يريه ملك الرؤيا – واسمه صديقون – على ما علمه الله من نسخة أم الكتاب ، وألهمه من ضرب أمثال الحكمة لكل شيء من الأشياء بمثل معلوم معروف .

ء- الرؤيا المرموزة : وهي من الأرواح ، ومثالها أن يري إنسان في منامه من يقول له :(إن امرأته تريد أن تسقيه السم على يد صديقه فلان) والتفسير هنا هو أن امرأته تريد أن تخونه مع صديقه ، فالخيانة مستورة كاسمها ، هي موضوعة تحت مسمي (السم) ومن هذا القبيل ما يكون من كلام الأموات ، إذ لا يكون إلا بأرواحهم .

هـ - الرؤيا التي تصح بالشاهد ، ويغلب الشاهد والدليل عليها ، فيجعل الخير شراً ، والشر خيراً ، كمن يضرب بالطنبور[١٨] في المسجد فإنه يتوب إلي الله من الفحشاء والمنكر [١٩] ذلك أن ضرب الطنبور وإن كان شراً في حد ذاته في الثقافة الإسلامية ، إلا أن وقوعه في المسجد – وهو خير البقاع في الأرض – جعله خيراً ، ومن ثم لا تدخله الشياطين .

٣- النابلسى ١/ ٤.
١- السابق .
٢- آلة موسيقية قديمة ،انظر شكلها في المعجم الوسيط ٥٥٨/٢
٣- النابلسى ٤/١.

والعكس صحيح تماماً فإن المكان يمكن أن يحول العمل الخيّر المرغوب فيه إلي شر مستطير، كمن يري أنه يقرا القرآن في الحمام فإنه يشتهر في أمر فاحش أو بعَوَر ، لأن الحمام موضع كشف العورات ، ولا تدخله الملائكة (٢٠) .

ومن ثم فإن قراءة القرآن في مثل هاتيك الأماكن هي شر صراح ، لا خير فيه ، بسبب مكان القراءة ، مع أن القراءة في حد ذاتها هي خير لا شية فيه.

ومن أصناف الرؤى ما ذكره ابن سيرين (٢١) :" إن الرؤيا الصادقة قسمان ، قسم مفسر ظاهر ، لا يحتاج إلي تعبير ولا تفسير ، وقسم مكني مضمر ، تودع فيه الحكمة ، والأنباء في جواهر مرئياته ".

ونعود إلي ملك الرؤيا لنقتبس قول دانيال (٢٢) – عليه السلام - :" اسم الملك الموكل بالرؤيا صديقون ..." يضرب الأمثال للآدميين فيريهم بضياء الله من علم غيبه في اللوح المحفوظ ما هو كائن من خير أو شر ، ولا يشتبه عليه من ذلك .

ومثل هذا الملك كمثل الشمس ، إذا وقع نورها على شيء أبصرت ذلك الشيء به ، كذلك يعرفك هذا الملك بضياء الله – تعالي - كل شيء ، ويهديك ويعلمك – أيها القارئ – ما يمكن أن يصيبك دنياك وآخرتك من خير أو شر يبشر الناس بخير قدموه أو يقدمون ، وينذر بمعصية قد ارتكبت أو يمكن أن ترتكب (٢٣) .

آخر ما نذكره هنا عن أصناف الرؤى ما يقوله المعبرون من المسلمين: " الرؤيا يراها الإنسان بالروح ويفهمها بالعقل ... فإذا نام الإنسان امتدت روحه مثل السراج أو الشمس ، فيري بنور الله وضيائه تعالي ما يريه ملك الرؤيا ... فإذا عادت الحواس – باستيقاظها – إلي أفعالها ذكرت الروح ما أراه ملك الرؤيا وخيل له (٢٤)" .

٧- فإذا رأي النائم ما يكره ، ماذا يصنع ؟ إذا انتهي من نومه قرأ آية الكرسي ، ثم دعا بهذا الدعاء :" أعوذ برب موسي وعيسي وإبراهيم الذي وفي ، ومحمد المصطفي ، من شر الرؤيا التي رأيتها أن تضرني في ديني ودنياي ومعيشتي ، عز جاره وجل ثناؤه ،ولا إله غيره"(٢٥).

١- السابق .
٢- ٤/١.
٣- عن نبي الله دانيال – عليه السلام - انظر ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٥٣٤ وما بعدها .
٤- النابلسى ٥/١.
١- النابلسى ٥/١.
٢- ابن سيرين ١٢/١.

٨- فهل هناك أحلام باطلة ، وما هن هذي الأحلام البواطل ؟ يجيب ابن سيرين بقوله :" وأما الباطل منها فما تَقدمه حديث نفس وهمة وتمنٍ ولا تفسير لها ، وكذلك الاحتلام الموجب للغسل جارٍ مجراه في أنه ليس له تأويل ، وكذلك رؤيا التخويف والتحزين من الشيطان ، قال الله تعالي : إنما النجوي من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئاً،إلا بإذن الله "[٢٦].

ويقول ابن سيرين أيضاً :"ومن ذلك " أي من الأحلام الباطلة " أضغاث الأحلام ، وهي أن يري الإنسان كأن السماء صارت سقفاً ، ويخاف أن يقع عليه أو أن الأرض رحى تدور ، أو ينبت من السماء أشجار ، أو طلع من الأرض نجوم ، أو تحول الشيطان ملكاً ، والفيل نملة ، وما أشبه ذلك ،ولا تأويل لها ، ومن ذلك رؤيا يراها الإنسان عند تشويش طبائعه " واضطراب نفسه ، فهذا من الرؤيا لا تأويل له أيضاً [٢٧] .

وهكذا يوضح لنا ابن سيرين أنواع الرؤى التي لا يجب الالتفاف إليها ولا تأويل لها ، وهي : (حديث النفس وتمنياتها – الاحتلام الموجب للغسل – كوابيس الشيطان – وأخيرا المنامات العبثية اللامعقولة كما مثل شيخ المعبرين ابن سيرين).

٩- فعلي من تُقص الرؤيا ؟ سبق أن الرؤيا لا تقص إلا على عالم أو ناصح ، فلا تقص على حاسد ، لقد قال يعقوب ليوسف – عليهما السلام - :"يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً [٢٨]".

كما لا تقص الرؤيا على جاهل ، ولا صبي ولا امرأة ، ولا يقص المرء رؤياه على معبر وفي مصره أو إقليميه معبر أحذق منه وأكفأ ، فإن فرعون يوسف لما قص رؤياه على معبري بلده فقالوا : أضغاث أحلام ، لم تبطل رؤياه وسأل عنها يوسف- عليه السلام- فعبرها له ، فكانت كما عبر نبي الله[٢٩].

١٠- وتتحدث كتب تفسير الأحلام عن طبقات المعبرين ، وقد وصل عددهم في بعض الكتابات إلي سبعة آلاف وخمسمائة معبر ، ثم اختصروا إلي ستمائة ، يقول النابلسى :" إن أشهرهم مائة ، وهم على طبقات" فما هي هذه الطبقات وما عددها [٣٠] :

٣- ١٠ المجادلة .
١- السابق ١٩/١.
٢- ٥ يوسف .
٣- النابلسى ٧،٦/١
٤- السابق ٣٥٥/٢وما بعدها .

الطبقة الأولي : المعبرون من الأنبياء ، مثل : (إبراهيم – يعقوب – يوسف – محمد) عليهم الصلاة من ربنا والسلام .

الطبقة الثانية : الصحابة ، مثل : (على بن أبي طالب – عبد الله بن عباس – سلمان الفارسي – أسماء بنت أبي بكر ".

الطبقة الثالثة : التابعون (سعيد بن المسيب – الحسن البصري – سعيد بن جبير ...) رضي الله عنهم .

الطبقة الرابعة : الفقهاء (الشافعي – ابن حنبل – عبد الله بن المبارك ...) رحمهم الله .

الطبقة الخامسة : الزهاد (شفيق البخلي – مالك بن دينار ...) رحمهما الله .

الطبقة السادسة : من أصحاب التآليف في تفسير الأحلام (ابن سيرين – الحسن بن الحسن الخلال ...) رحمة الله عليهما .

الطبقة السابعة : الأطباء (جالينوس – أبقراط – محمد بن زكريا الرازي ...)

الطبقة الثامنة : المعبرون من اليهود (حيي بن أخطب – كعب بن الأشرف)

الطبقة التاسعة : النصارى (حنين بن إسحاق)

الطبقة العاشرة : المجوس (أنو شروان)

الطبقة الحادية عشر : المعبرون من مشركي العرب (أبو جهل – عمرو بن عبد ود – أبو طالب)

الطبقة الثانية عشر : من الكهنة (سطيح – شق)

الطبقة الثالثة عشر : من السحرة (عبد الله بن هلال – قرظ بن زيد الأيلى)

الطبقة الرابعة عشر: من أصحاب الفراسة (سعيد بن سنان – إياس بن معاوية).

وترى – عزيزي القارئ – أننا أسهبنا قليلاً في سرد هذي الطبقات الأربع عشرة لنشير إلي أمرين مهمين :

أولهما : ضخامة هذا التراث في فرع واحد أو جانب واحد ، هو تفسير الأحلام ، فما بالنا بباقي الفروع والجوانب الأخرى ، مما يوجب مزيداً من الاهتمام والإجلال لهذا التراث الضخم الذي نحن بأمس الحاجة إليه لإعادة النهضة إلي أمتنا العربية مرة أخري .

ثانيهما : وهو الأهم هنا أن هذا التراث العربي كان تراثاً عالمياً بكل ما للعالمية من المعاني ، وكان سبب هذه العالمية المتألقة هو قبول العرب والمسلمين للآخر وتفاعلهم مع هذا الآخر ، لقد أعطوا لكل ذي حق حقه ، فإنه لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل ، انظر لقد تحدث العرب

عن معبري الرؤى ليس من العرب فقط ، وليس من المسلمين فقط ، بل ذكروا هؤلاء المعبرين من اليهود والنصارى والمجوس ومن مشركي العرب أيضاً ، بل ومن السحرة، كما نري .

ليس هذا فقط ، ليس هذا فقط ، بل أيضاً ذكروا شخصيات لها مواقف عدائية صارخة ضد المسلمين : (أبو جهل – عمر عبد ود – حيي بن أخطب – كعب بن الأشرف) ومع هذا لم يغمطوا هؤلاء المعاندين حقهم في الذكر والإشارة فوضعوهم ضمن طبقات المعبرين .

وقد يكون القارئ يعرف ماذا صنع أبو جهل مع محمد وصحبه ، ولكنه ربما لا يعرف ماذا صنع حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ، وفي إشارة عجلي نذكر طرفاً مما فعلاه ، تاركين التفصيل إلي المراجع المهتمة ، والتي نشير في الهامش إلي بعضها :

- **حيي بن أخطب** : كان من أشراف بني النضير ، وعند إجلاء القوم من المدينة سار إلي خيبر ، ولكنه لم يترك المسلمين في المدينة وشأنهم ، وإنما حاول التحريض عليهم ، وقد لعب مع فريق من بني النضير دوراً مهماً في الإعداد لغزوة الأحزاب ، لقد حرضوا قريشا وغطفان ضد المسلمين ، وقالوا :" إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله " يقصدون محمدا ، صلي الله عليه وسلم.

وعندما تساءلت الزعامة القرشية :" يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟" فماذا كان رأي الفريق المحرض ، ومنهم حيي ، لقد قالوا لقريش :" بل دينكم خير من دينه وأنتم أولا بالحق منه " فهم الذين أنزل الله تعالي فيهم : " ألم تر إلي الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، يؤمنون بالجبت [٣١] والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله ، فلن تجد له نصيرا ... أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله " أي النبوة " فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ، وآتينهم [٣٢] ملكاً عظيماً ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من صد عنه ، وكفي بجهنم سعيراً [٣٣] " .

ولم يكتف ابن أخطب بهذا ، بل لعب الدور الحاسم في نقض بني قريظة عهدهم مع الرسول – صلي الله عليه وسلم – كيف ؟ لقد ذهب لمقابلة الزعيم القرظى كعب بن أسد " صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله– صلي الله عليه وسلم – على قومه وعاقده على ذلك وعاهده[٣٤] ".

١- ما يعبد من دون الله .
٢- الضمير "هم " عائد على اليهود .
٣- ٥١- ٥٥ النساء.
١- ابن هشام : السيرة النبوة ٣/٢٢٠.

وكان كعب بن أسد رجلاً عاقلاً فاهماً ، لما سمع بمقدم حيي أغلق دونه باب حصنه ، فأستأذن عليه ، فأبي أن يفتح له ، فناداه حيي من وراء الأبواب ودار الحوار التالي بين الرجلين :

كعب : ويحك يا كعب ، إنك امرؤ مشئوم ، وإني قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاء وصدقاً .

حيي : ويحك !! افتح لي أكلمك .

كعب : ما أنا بفاعل .

حيي : والله ما أغلقت الحصن دوني إلا تخوفك على جشيشتك(٣٥) أن آكل معك منها .

وهنا ثارت حفيظة كعب ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبجيوش جرارة ، جئتك بقريش وقادتها وسادتها ، وبغطفان وقادتها وسادتها قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه .

ويرد كعب ببصيرته الثاقبة : جئتني بذل الدهر وبسحاب لا ماء فيه ، فهو يَرْعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ، فدعني وما أنا عليه ، فانا لم أرَ من محمد إلا صدقاً ووفاء .

ولكن الداهية لم يزل يراوغه في الكلام والجدال ، يفتل له المبررات والافتراء حتى أثناه عن موقفه ، بل وأعطاه عهدا وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن يدخل حيي مع كعب في حصنه حتى يصيبه – أي حيي بن أخطب – ما يصيب زعيم بني قريظة ، الذي تنص عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين محمد ، صلي الله عليه وسلم .

ولكن الرياح أتت بما لم يشته ابن أخطب ن لقد انسحب الأحزاب مذعورين مقهورين تحت جنح الظلام ، أشرق نور الصبح ، وبدأ المسلمون بوضع أسلحتهم والعودة إلي حياتهم المدنية ، ولكن جبريل – عليه السلام – جاء بالأمر الإلهي صريحاً صراحاً بالمسير إلي بني قريظة ، فأذّن في الناس: " من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ".

وبعد حصار خمس وعشرين ليلة دب الرعب في قلوب القوم ، فقد أجهدهم الحصار ، وأيقنوا أن محمدا غير منصرف حتى يحاربهم ، وعندها خاطبهم زعيمهم قائلاً : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليك خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هي ؟! .

٢- طعام يصنع من (الدشيشة) والمقصود أن حيي يتهم الرجل بأن لم يفتح له لخوفه وبخله على طعامه أن يشاركه إياه .

قال : " نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله ، لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم" وكان هذا نعم الرأي من كعب ، ولكن قومه ردَّوا عليه اقتراحه بقولهم : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره .

قال كعب :" فإذا أبيتم عليَّ هذه ، فهلمَّ نقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلي محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء " أي يمكن أن نجد نساء نتزوجهن ، وننجب منهن أبناء لنا وبنات .

ولكن هذا الرأي رد كسابقه ، لقد قال القوم : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم ؟ ولكن الرجل لم ييأس منهم فأخرج آخر اقتراح من جعبته ، لقد قال : " فإن أبيتم عليَّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسي أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرة".

قالوا :" نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يُحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ " وهنا لم يعد أمام الزعيم ذي البصيرة إلا أن دعا عليهم قائلاً :" فما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً " فكان الأمر كما قال ، حرموا جميعاً صواب الرأي والحزم إلي أن نزلوا على حكم الله ورسوله ، فقتلوا جميعاً ، وسبيت النساء والذرارى – الأطفال – وقمست الأموال .

وبلغ بهم من العَمَه والسذاجة أن قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – لقتلهم :" يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ " يقول كعب :" أفي كل موطن لا تعقلون ؟! ألا ترون الداعي لا يَنزع [٣٦] ، وأنه من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل " حتى عند القتل لم يفهموا الموقف ، ولم يتبينوه، لقد حرموا الحزم ، كما دعا عليهم زعيمهم .

وجيء بحيي بن اخطب وعليه حلة وردية اللون ، وقد قطع من كل ناحية منها قدر أنملة ، حتى لا ينتفع بها أحد بعد قتله ، أما يداه فقد جمعتا مع عنقه بحبل ، فلما نظر إلي رسول الله – صلي الله علي وسلم – قال :" أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يَخذل الله يُخذل " ثم أقبل على الناس ، فقال : " أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقتل ، ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل " ثم جلس فضربت عنقه .

١- المزيد من التفاصيل عما قام به حيي بن اخطب ، انظر : ابن هشام : ٣/٢١٤،٢٢٠،٢٣٤،٢٣٦.

نعم لقد صدقت بأنك ما لمت نفسك في عداوة محمد – صلي الله عليه وسلم – وصدقت في أن من يَخذل الله يخذله الله ، ولكن لم يكتب الله عليك ولا على بني قريظة القتل ، وإنما أنتم سعيتم إليه ورغبتم ، مع يقينكم أن محمدا – صلي الله عليه وسلم – على الحق ، فكيف يموت قوم دفاعاً عن شيء هم على يقين ببطلانه ، ويعادون رجلاً ثبت لهم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي يجدونه عندهم في توراتهم التي يدعون التمسك بها ، لا يستبدلون بها غيرها ، ولا يفارقون حكمها " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله [٣٧].

- **كعب بن الأشرف :** فماذا فعل هذا الرجل وماذا نعرف عنه ؟ عندما جاءت البشارة بانتصار المسلمين في بدر – في العام الثاني الهجري قال"أترون محمدا قتل هؤلاء ، إنهم أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ".

وعندما تيقن بصدق الأنباء عن مقتل سادة قريش خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي وزوجته عاتكة بنت أبي العيص بن أمية فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وينشد الأشعار ، ويبكي قتلي قريش في بدر :

طحنتْ رحي بدر لمهلك أهلــــه ∴ ولمثل بدر تَسْهَلُ [٣٨] وتدمــع
قُتلت سَراه الناس حوله حياضهم ∴ لا تَبْعدوا ، إن الملوك تُصَرَّعُ
كم أصيب به من أبيض ماجـــد ∴ ذي بهجة يأوي إليه الضُيّــع [٣٩]
طلق اليدين إذا الكواكب أخـلفت [٤٠]∴ حمـــل أثقـــال يسود ويربع [٤١]

وعندما رجع كعب لم يكتف بما سبق بل ارتكب جريمة كبري وفعلة شنعاء ، لقد شبب بنساء المسلمين وتغزل فيهن ، وهو ما لا يطيقه أحد من بني يعرب حتى في هذه الأيام ، وقد عجبت لهذا الرجل وقد عاش في بيئة عربية وتأكد من خطورة التشبيب والغزل بالنساء،كيف جرؤ على افعل كهذا؟ يبدو أن غرور القوة قد أودي به [٤٢] ، كما أودي قبله بكثير من المغرورين فرعون وهامان وقارون ...الخ .

١- ٥٤ النساء .
٢- تسيل بالدمع .
١- الفقراء.
٢- أخلفت الكواكب لم يعد لها مطر .
٣- هو زعيم يأخذ الربع من الغنائم ، كما كانت تفعل الزعماء والرؤساء في الجاهلية .
٤- عن مقتل كعب بن الأشرف ، انظر ابن هشام : السيرة النبوية ٥٦،٥١/٣.

هذا ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية عن كعب بن الأشرف ، وهو ما يتطابق مع ذكرته بعض المصادر اليهودية ، فهذا إسرائيل ولفنسون [٤٣] يقول:" كان كعب بن الأشرف من أصحاب النفوذ والبطش بالسيف واللسان ، لا على اليهود فحسب ، بل على قريش أيضاً " وكلمة قريش هنا مغالطة واضحة إنه لم يك يهاجمها ، بل على العكس رثي قتلاها في بدر ، وأشاد بهم ولذا فإني أعتقد أن صحة العبارة :" لا على اليهود فقط ، بل على المسلمين أيضاً".

ويدعي ولفنسون[٤٤] أن كعباً كان عربيا أكثر منه يهويا ، إذ كان أبوه من عرب طيء ، وأمة من بني النضير ، وقد توفي أبوه وهو صغير ، فحملته أمه إلي أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد وكبر أمره ، وكان شاعرا فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، لقد كان شاعراً فحلاً وخطيباً فصيحا ، وكان يهجوا النبي ويهجو أصحابه فبعث النبي نفراً من أصحابه فقتلوه).

وهكذا يعترف ولفنسون بأن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي – صلي الله عليه وسلم- وأصحابه ، لكنه لم يشر من بعيد أو قريب إلي تشبيبه بنساء المسلمين وإيذائهم بهذا الجرم الأشنع .

على أية حال نعود نؤكد أن العرب كان من عبقريتهم الاعتراف بالآخر ، بل والتفاعل والاختلاط به ، ومعرفة قدره ، وإعطائه قدره ، حتى لو كان لهذا الآخر موقف شديد العداء والعناد لنا ، وهذا ما لمسناه في عَدّ هذي الشخصيات من مفسري الأحلام سيما الثلاثي : (أبو جهل – حيي بن أخطب – كعب بن الأشرف) ثم عمر بن عبد ود الذي تحدي جيش المسلمين بكامله حتى خرج له الفتي علي بن أبي طالب فقتله .

لقد تعلم العرب هذا الحياد وهاتيك الموضوعية من دينهم ، ففي الكتاب الكريم :" يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون[٤٥] " وفي عهد أمير المؤمنين [٤٦] على أبن أبي طالب إلي مالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصرنا : إن الرعية ، أو الناس :"صنفان ، إما أخ لك

٥- تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٣٢ ، القاهرة ١٩٢٧م.وقد كان هذا الكتاب أطروحة ولفنسون للدكتوراه ، بإشراف الدكتور طه حسين ، والذي قدم لهذا الكتاب ، في الطبعة المشار إليها هنا .

١- إسرائيل ولفنسون أو (أبو ذؤيب) يهودي مصري ، عمل مدرساً للغات السامية بدار العلوم ، كما كان عضواً بجمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية بالقاهرة التي أسست ١٩٢٥، وكانت تصدر مجلة بعنوان :
(تاريخ الإسرائيليين في مصر).ولكن ولفنسون هاجر إلي فلسطين واشتغل في التدريس بالجامعة العبرية بالقدس التي أنشئت ١٩٢٥ – وسمي نفسه هناك (يتسرائيل بن رئيف) وفي ١٩٤١ عين أول موجه للغة العربية في قسم التعليم بالسلطة اليهودية ، ثم أصدر مجلدين بعنوان (العربية المنطوقة) وكتاب (الفصول المختارة) في تعليم العربية لليهود في فلسطين ، انظر العربية بين اليهود والعبرية بين العرب ، ترجمة د. أحمد أبو الخير - د. أحمد فريد القاهرة ٢٠٠٢.

١- ٨ المائدة .

٢- نهج البلاغة، ص ٣٣٤.

في الدين " أي مسلم مثلك " أو نظير لك في الخلق " أي مثلك في كل شيء لا ينقص عنك شيئاً ، ولا تزيد عنه – يا مالك – في أي شيء .

على أية حال فإنني عندما قلت طرفا مما سبق ، في إحدى الندوات القاهرية – أغسطس ٢٠٠٥ - وجدت معارضة قوية صارخة بأن العرب لا يعترفون بالآخر ، ولا يقيمون له وزناً ، وقد قلت لمعترضيَّ : هذا الذي تقولون إنما ينطبق على زمن التردي والتراجع والسقوط والخيبة الكبرى ، أما زمن إقامة الحضارة العربية فالأمر جد مختلف ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون .

والآن وقد أفضنا كثيراً وأسهبنا في الحديث عن معبري الرؤيا ، وعن طبقاتهم ، وعن اعتراف العرب بالآخر وفضله ، نترك هذه النقطة سريعاً إلي النقطة التي تليها ، وهي الأخيرة التي نمهد بهن جميعاً لأسس تفسير الأحلام :

١١- مسك الختام في ملاحظاتنا ، هو آداب المعبرين أو شروط التعبير، نعم آداب تعبير الرؤيا ، وهل هناك آداب لمعبري الرؤيا ؟ بكل تأكيد ويقين فما هي هاتيك الآداب ؟ إنها :

أ- أول ما ينبغي أن يقال هنا إن الرؤيا لا تقص إلا على معبر، ويجب على من لا يعرف علم التعبير ألا يعبر ، فإنه يأثم على ذلك ، لأنها كالفتوى ، وهو علم نفيس .

وهكذا بنيت الحضارة العربية على أساس التخصص واحترام التخصص فالعرب هم أصحاب المثل القائل:" أعط القوس باريها"،وفي بالمثل المصري: "أعط العيش لخبازيه حتى لو أكلوا نصفه "مبدأ مهم لبناء الحضارات ، وهو من لا يعرف لا يفتي فيما لا يعرف .

ب- وبما أن تعبير الرؤيا هو كالفتوى ، وهو علم نفيس – كما سلف – فإن علماء هذا العلم أشاروا إلي كراهة التعبير في أوقات بعينها ، قال ابن سيرين [٤٧] :" تتوقف في التعبير عند طلوع الشمس وعند الزوال [٤٨] وعند الغروب " فلماذا ؟.

أعتقد أن السبب أن هذي الأوقات تكره الصلاة فيها ، أو بمعني أدق نهي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – عن الصلاة فيها وخاصة صلاة التطوع ، فعن عقبة بن عامر – رضى الله عنه انه قال :" ثلاث ساعات نهانا رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أن نصلي فيهن ، وأن نقبر فيها

١- ٢٠/١.
٢- عندما تكون الشمس في وسط السماء .

موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة وحين تُضيف[٤٩] للغروب حتى تغرب [٥٠].

والمقصود بكلمتي (ثلاث ساعات) أي ثلاثة أوقات ، مع ملاحظة أن الساعة في عرف الناس الآن هي محددة بالستين من الدقائق ، في حين أن الساعة قبل ذلك ، وقبل أن تظهر الساعات إلي عالم الوجود كانت أقل بكثير ربما كانت - في تقديري – أو تقدير الوقت الآن دقيقة ، أو أكثر قليلاً أو حتى أقل .

ومن ثم نستطيع القول بأن كلمة (ساعة) حدث لها توسيع للمعني من مرادف كلمة (وقف) بل ووقت قليل إلي زيادة في هذا الوقت ، والذي حدد بستين من الدقائق ، والدليل على أن الوقت قليل في الاستخدام القديم أن النص يقول :" حتى تطلع الشمس " ولا يكتفي بهذا ، بل يضيف أيضاً فيصف الشمس بأنها " بازغة " .

وعند تعبير النص عن الوقت الثالث يقول :" وحين تضيَّف للغروب " أي تقترب الشمس إلي الغروب ، ثم يضيف :" حتى تغرب" أي أنه ينظر إلي الساعة على أنها وقت قليل ، وهو ما يتضح أيضاً في تعبيره عن الساعة الثانية ، أو الوقت الثاني :" حين يقوم قائم الظهيرة " أي عندما تكون الشمس في كبد السماء ، أي في وسطها ، وهو وضع لا يستمر كثيراً .

وهذا الذي فهمناه من كلمة (ساعة) ليس خاصاً بهذا النص فقط ، بل في نصوص أخر، ولكن لا مجال لها هنا ، ويؤيد هذا الفهم أيضاً ما ورد في المعجم الوسيط [٥١]، والذي يعبر عن رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وبعد هذا كله نعود مرة أخري إلي قولة ابن سيرين بعدم تعبير الرؤيا في الأوقات الثلاثة أو الساعات الثلاث التي ذكرت بأن هذا يؤكد جدية هذه الحضارة حتى في هذا الشأن الذي ربما لا يعيره بعض الناس اهتماماً أو التفافاً ، بل قد لا يهتمون بما يراه النائم أصلاً ، أو يفكرون في شيء منه ، ومن ثم فإننا نري أن الجدية في كل أمر ، وفي كل منحي من مناحي الحياة هي أساس ضروري لقيام الحضارة ، أية حضارة .

جـ وثالث ما يذكر من آداب المعبر أن يستوفي قص الرؤيا من صاحبها فما كان موافقاً للأصول فإنه يجتهد في تعبيره ، وما كان خارجاً عن الأصول فلا يلتفت إليه [٥٢] وهذا

٣- تقترب من الغروب
٤- انظر تفصيل مسألة النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة المذكورة في - سابق : فقه السنة ١٨٣/٣-١٨٨أما قولة عقبة بن عامر ، فهي في ذات المرجع ١٨٤/٣.
١- انظر ١/ ٤٨١.

يعني أن يستمع إلي كل ما يقص صاحب الرؤيا بجميع تفاصيله حتى يتمكن من التعبير على الوجه الصحيح ، أو الأقرب إلي الصحة والدقة .

د- وبعد أن يستوفي قص الرؤيا من صاحبها على المعبر أيضاً التثبت مما يقول ، وترك العجلة في تفسير المنام :" والتعسف ، ولا يأنف من أن يقول لما يشكل عليه : لا أعرفه ، وقد كان محمد بن سيرين إمام الناس في هذا الفن ، كان مما يمسك عنه أكثر مما يفسر، بل يروي عن ابن سيرين أنه كان يعبر من كل أربعين رؤيا تعرض واحدة فقط (٥٣).

فإذا سأل أحد عن رؤيا عنادا ولم يكن رآها ؟ في هذه الحالة لا يترك المعبر سؤاله بغير جواب ، فإنه إن كان خيراً فمصروف إلي المعبر، وإن كان شراً فمصروف إلي المعاند ، فإنه مخذول ، والمجيب منصور على أعدائه ، كما ورد في قصة يوسف :" أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضي الأمر الذي فيه يستفتيان (٥٤) " وهكذا كان الأمر كما عبر عنه نبي الله ، عليه السلام.

ويلاحظ أن الآية تختم بقوله :" قضي الأمر الذي تستفتيان " مما يؤكد ما سبق قوله من أن تعبير الرؤيا كالفتوى ، وليس مجرد كلام في كلام ، وهو عاطل عن المعني والمغزى .

وعلى أي الأحوال فإن المعبر نفسه إذا عبر عنادا على سبيل الاعوجاج فإن كان خيرا فهو للسائل ، وإن كان شرا انصرف إلي المعبر نفسه (٥٥)، فإن تعبير الرؤيا وما يتصل به يجب أن يُنأى به عن العناد والمكابرة .

ومن ناحية أخري فقد كان المعبرون على جانب واضح من التواضع عندما نصوا على أن تعبير الرؤيا :" قياس واعتبار وتشبيه وظن ، لا يقطع بها ، ولا يحلف على غيبها ، إلا أن يظهر في اليقظة صدقها ، أو يري سرها بها (٥٦) وكل هذا يتسق مع تشبيهها بالفتوى ، أي في المشكلات والمعضلات ، و إلا فإن الأمور الواضحات في الدين لا يُحتاج فيها إلي فتوى من أحد ، كمن صلي بغير وضوء ، أو حج ولم يقف بعرفات ، أو أخرج الزكاة قبل أن يحول عليه الحول ، أي السنة الهجرية القمرية ، وهكذا .

١- ابن شاهين ٣٦١/٢
٢- ابن سيرين ١٠/١.
٣- ٤١ يوسف.
١- النابلسي ٦/١.
٢- السابق ٣٥/٢

هـ- ومن الآداب المهمة في تعبير الرؤيا والتي هي مفخرة للعرب والمسلمين ما نص عليه شيخ المعبرين ابن سيرين (٥٧) :" وإذا وردت عليك من صاحب الرؤيا في تأويل رؤياه عورة قد ستره الله عليه ، فلا تجبه منها بما يكره أن يطلع عليه مخلوق غيره ،فإن كان مبتلي ، لا حيلة له عَرّضه (٥٨) له حتى يعلمها ، إلا أن يكون له من ذلك مخرج ، فإن كان مصراً على معصية الله ، أو قد همّ بها ، فعظه عند ذلك ، واستر عليه ، كما أمر الله تعالي ، ولا تحك عن أحد رؤياه إن كان فيها عورة يكرها ،إنك إن فعلت ذلك اغتبت صاحبها".

هكذا كان احترام الفرد في أسراره وما يكتمه عن الآخر في حضارة العرب الإسلامية ، حتى اعتبر إفشاء السر ولو كان في رؤيا تفسر غيبة لهذا الرائي ، وهو أمر محرم في شريعة المسلمين .

ولا يقتصر الأمر على أسرار الفرد ومخفياته ، بل يمتد ليشمل أسرار الأمة ، حتى في الرؤى والأحلام ، ومرة أخري مع ابن سيرين (٥٩) :" واستر ما يرد عليك من الرؤيا في التأويل من أسرار المسلمين وعوراتهم ، ولا تخبر بها إلا صاحبها ، ولا تنطق بها عند غيره ، ولا تحكها عنه ، ولا تسمّه فيها إن ذكرتها ".

وقد وصل الأمر- كما رأينا في النص – أن على معبر الرؤيا أن يحكيها عن صاحبها ، وإذا ذكر الرؤيا فعليه أن لا يذكر اسم الرائي ، كل هذا حفاظاً على أسرار الفرد والأمة على السواء ، قيمة أخري من قيم هذا الحضارة التي شيدها أجدادي العرب .

و- ومما يحتاجه المعبر أيضاً :

- إصلاح حاله في طعامه وشرابه (٦٠).
- إخلاصه في عمله ليرث بذلك حسن التوسم في الناس عند تعبير مناماتهم(٦١).
- أن يكون عالماً فطناً ذكيا أديبا تقياً نقياً من الفواحش (٦٢) .
- عالماً بالكتاب والحديث ولغة العرب وأمثالها ، وما يجري على ألسنة الناس(٦٣) .
- عارفاً بحالات الناس وشمائلهم وأقدارهم (٦٤) وهيئاتهم .

٣- ١٢/١.
٤- عرّض يُعَرّض تعريضا ، أي لم يصرح بالشيء.
١- ١٢/١.
٢- النابلسي ٣٥٢/٢.
٣- السابق .
١- السابق ٦/١.
٢- ابن سيرين ٦/١.
٣- السابق .

- عارفاً بالأزمنة وأمطارها ونفعها ومضارها وبأوقات ركوب البحار ، وأوقات ارتجاجها وهيجانها (معلومات جغرافية) [٦٥] .
- وعارفاً بعادات البلاد وأهلها وخواصها ، وما يناسب كل بلدة ، وما يجئ من ناحيتها [٦٦] .
- ونختم هاتيك النقاط بما ذكره الشيخ ابن سيرين [٦٧] :" وليس نوع من العلم مما ينسب إلي الحكمة ، لا يُحتاج إليه في تأويل الرؤيا ، حتى الحساب وحتى الفرائض والأحكام والعربية وغرابتها لمعاني الأسماء ، وغيرها ، وما فيها من أمثلة الحكمة وشرائع الدين والمناسك والحلال والحرام والصلاة والوضوء وغير ذلك من العلم ... وليكن ما في يدك من الأصول المفسرة لك أوفق عندك وأهم مما يأتيك به صاحب الرؤيا ليزيلك عنها ، وإن كان ثقة صدوقا عندك ".

ز- ولا ينبغي أن يعبر الرؤيا حتى يعرف لمن هي [٦٨] ؟ فإن أقدار الناس قد تختلف في بعض التأويل حسب اختلافها في نقصانها في الجدود والحظوظ ، وإن تساووا في الرؤيا ،فلا يجيد تعبير ذلك المرئي الذي يتفقون في رؤيته في المنام إلا واسع المعاني متصرف الوجوه[٦٩].

فالرمانة ربما كانت للسلطان كورة – قرية - أو مدينة ، يلي عليها ، ويكون قشرها جدارها أو سورها ، وحَبُّها أهلها ، وتكون للتاجر داره التي فيها أهله ،حَمّامه أو فندقه أو سفينته الموقرة بالناس ... أو دكانه العامر بالناس ، أو كيسه الذي به دراهمه ودنانيره ، وقد تكون للعالم العابد الناسك كتابه ومصحفه ، وقشرها أوراقه ، وقد تكون للأعزب زوجة بمالها وجمالها ، أو جارية بكراً [٧٠] .

ك- ومن آداب تعبير الرؤيا حسن العبارة من جانب المعبر للرؤيا ، وأذكر أنه عندما كنا طلاباً في جامعة القاهرة كان أستاذنا [٧١] في الشريعة الإسلامية يكرر على مسامعنا هذي الحكاية :"روي أن بعض الخلفاء قال لمعبر : إني رأيت جميع أسناني سقطت ، فقال له: جميع أقارب مولانا يموتون ، فتغير من ذلك ، واستدعي عابراً آخر غيره ، وقص عليه

٤- السابق .
٥- ابن سيرين ٦/١.
٦- السابق ١٣/١.
١- النابلسي ٦/١.
٢- ابن سيرين ٥/١
٣- السابق .
٤- الدكتور مصطفي زيد ، رحمه الله .

الرؤيا ، فقال : إن صدقت رؤيا مولاي ، فإنه يكون أطول عمراً من أقاربه " أي آخر من يموت من أقاربه.

فأقبل عليه ، وأحسن إليه [٧٢] " المعني واحد في كلا التعبيرين ، ولكن التعبير من جانب المفسرين لرؤيا الملك ، مختلف متفاوت .

ل ـ كان أستاذنا ـ رحمه الله ـ يدلل لنا على أن المرء يمكن أن يعبر عما يريد من المعاني بطريقة لا تجرح مشاعر الآخر ففي الآية :"وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم ،إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً[٧٣]" لاحظ أيها القارئ الكريم أن الأمر في (قل) ليس موجهاً للمؤمنين فقط ،أو المسلمين ولكن(لعبادي) للعباد كلهم.

فماذا لدي معبري الرؤيا من حسن العبارة :

- إذا قصَّت عليه رؤيا فيها ما يكره الرائي عرَّف صاحبها بعبارة حسنة بحيث يفهم صاحب الرؤيا ما يجب أن يحذره ، ومن العلماء من قال : يعبر الرؤيا الجيدة ، ويترك ضدها ، بحيث يحذر الرائي ، ويأمره بالتوبة والصدق [٧٤] مع ترك التعنيف [٧٥] .
- يقول النابلسي :" إن كانت الرؤيا تدل على قبيح سترت ذلك ، وواريت عنه بأحسن ما تُقدر من اللفظ ، وأسررته إلي صاحبها ".
- بل إن المعبر يتلقى صاحب الرؤيا بأدب رسول – صلي الله عليه وسلم – الذي كان إذا قصت عليه رؤيا قال[٧٦] :

خيرا تلقاء ، وشرا تتوقاه ، وخيرا لنا وشرا لأعدائنا ، الحمد لله رب العالمين ، اقصص رؤياك .

وبعد هذي الملاحظات المفصلة إلي حد ما ندلف إلي أسس تفسير الأحلام كما نجدها في تراثنا العربي ، وهي :

- المنطق العام .
- الثقافة .
- اللغة .
- تباين أقدار الناس .

١- النابلسي ٣٥٩/٢.
٢- ٥٣ الإسراء.
٣- ابن شاهين ٣٦١/٢.
٤- النابلسي ٣٥٢/٢.
٥- ابن سيرين ١٩/١.

- علاقة الضد.

وهاك التفصيل :-

أولاً- المنطق العام : أول شيء يعتمد عليه تفسير المنام هو هذا المنطق العام الذي يفهمه عامة الناس وخاصتهم وهذي أمثلة :

١- الصعود ضد الهبوط : فمن رأي أنه صعد إلي السماء فإنه ينال ولاية ورياسة شريفة عظيمة ، فالصعود رفعة ، والهبوط ضعة ، وإن صعد عقبة فهو ارتفاع ورياسة مع تعب بسبب هذه العقبة ، وكل صعود إلي جبل أو تل أو سطح أو غير ذلك فإنه ينال ما يطلبه من قضاء مأربه الذي يرنو إليه ويرومه(٧٧).

ومن رأي في المنام أنه قائم في الهواء ، بين السماء والأرض ، نال عزاً من سلطان وقدرة ، ومن رأي أنه يمشي في الهواء عرْضاً من غير صعود نال عزاً عظيماً ومالاً حلالاً ، إن كان أهلاً لذلك ، لاحظ إن كان أهلاً لذلك ، ومن رأي أنه متعلق بين السماء والأرض فإن قلبه مشغول ، ولا يدري ماذا يصنع .

ومن سقط من الهواء فإنه يسقط عن مرتبته وجاهه ، وإن لم يك له مرتبه ولا جاه فإنه ييأس عن أمر يقصده ويؤمله ، والهبوط من السماء بعد صعودها ذل بعد عز ، ومن رأي أنه هبط عن

١- النابلسى ، ص ٤٤/١.

موضع مرتفع أو سطح أو قصر فإنه يرجع عن حال كان عليه ، ومن رأي أنه يهبط من سلم قديم لم يربح في تجارته ، وإن انكسر السلم وهو عليه انتصر خصمه عليه .

ومن رأي أنه يبني في الهواء بيتاً أو داراً أو ضرب فيه فسطاطاً أو خباء أو ركب فيه دابة أو غير ذلك ، فإن كان مريضا أو عنده مريض فإنه موته و نعشه ، و إن رأى ذلك سلطان أو أمير أو حاكم عزل عن عمله ، وزال عن سلطانه بموت ، وإن رأي ذلك من هو في البحر عُطبت سفينته ، أو أسره عدوه ، أو أشرف على الهلاك ، وقد يدل ذلك على عمل فاسد عمله على غير كتاب ولا سُنّة ، لأنه كان بناء على غير أساس ، بناء في الهواء ، فإن البناء لا يكون إلا على أرض وأساس وقرار ، وليس في الهواء (٧٨) .

٢- الزمان والمكان : ويختلف تعبير المنام باختلاف الزمان والمناخ ، فالاصطلاء بالنار والتدفي بالشمس وملابس الشتاء واستعمال الماء في الزمان البارد (أو للمصاب بالبرد) خير وراحة على عكس الصيف ، فهي فيه أمراض ونكد (٧٩).

كذلك الذي يرى في بلاد الحر ثلجا أو جليدا أو بردا فإنه يدل على الغلاء والقحط ، لكن ذلك في بلاد البرد خصب وسعة ، والأمطار ما ينتج عنها من طين ووحل خصب ونماء في بعض البلاد التي تزرع على المطر ، أو فيها المطر قليل ، ولغيرهم محنة وبلية (٨٠) .

٣- الجنس والصنف والطبع : يقول النابلسي (٨١) :" واعلم أن أصل الرؤيا جنس وصنف وطبع ، فالجنس كالشجر – والسباع والطير – وهذه - أي في المنام - تؤول بأنهم " رجال ، والصنف أن تعلم من أي صنف تلك الشجرة – وذلك السبع أو الطير – فإن كانت الشجرة نخلة كان ذلك الرجل من العرب ، وإن كان الطائر طاووسا كان رجلا من العجم (٨٢) ، وإن كان ظليما (٨٣) كان بدويا من العرب ، والطبع أن تنظر لطبع تلك الشجرة ، فتقضي و تحكم على الرجال بطبعها ، فإن كانت نخلة قضيت بأنه رجل نفاع بالخير ، وإن كان طائرا علمت أنه رجل ذو أسفار ، ثم نظرت في طبعه ، فإن كان طاووسا كان ملكا أعجميا ذا جمال ومال ، وكذلك إن كان نسرا كان ملكا ، وإن كان غرابا كان فاسقا كذابا " .

١- السابق ، ٣١٦/٢ – ٣١٧ .
٢- السابق ٣٦٠/٢ .
٣- السابق ٥/١ .
٤- ٥/١ .
٥- العجم غير العرب ، والمفرد عجمي ، أما أعجم جمع أعاجم ، وأعجمي جمع أعجمين ، والأعجم والأعجمي من لا يفصح في كلامه ولا يبين ولو كان عربيا .
٦- ذكر النعام .

ويكمن المنطق هنا في أن معبر الرؤيا ينظر إلى جنس ما يره النائم ، فالأشجار والسباع والطير هي في المنام تؤول بالرجال ، نعم ، ولكننا ننظر إلى أصناف هذه الأشياء الثلاثة وأطباعها ، فبما أن النخلة هي في المنام رجل ، وبما أن النخلة تنبت أكثر في بلاد العرب فإنها تؤول برجل عربي ، وبما أن النخلة نفاعة بالخير ، فكل ما فيها ينتفع منه حتى الخوص والجريد . . الخ فإنها في المنام أيضا تمثل الرجل النفاع بالخير ، وفي الحديث الشريف :" مثل المؤمن مثل النخلة ، ما أخذت منها من شيء نفعك (٨٤) " وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :" أكرموا عمتكم النخلة ، فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم (٨٥) " .

وعلى العكس من كل ما سبق الغراب ، لماذا ؟ لأن من طبعه أنه لا يتعاطى الصيد ، بل إن وجد جيفة أكل منها ، وإلا مات جوعا ، ويتقمقم (٨٦) كما يتقمقم ضعاف الطير " وفي الحديث الشريف :" الحية فاسقة ، والفأرة فاسقة والغراب فاسق " كما أن هذه الثلاثة التي ذكرت إضافة إلى الحدأة والكلب العقور ، كل هذه الخمس الفواسق ليس على قاتلها جناح (٨٧) ، ومن ثم كان من المنطق ومن المنطقي أن يفسر الغراب في المنام بأنه رجل فاسق ، وأن تفسر النخلة بأنها رجل عربي نفاع .

ثانيا – الثقافة : وهي أس وأساس مهم من أسس تعبير الرؤيا ، كيف ؟ بالمثال يتضح المقال :

١- أول ما يكون التعبير بالقرآن والسنة ، إن وجد المعبر فيهما شاهدا للرؤيا كمن يرى نفسه في السفينة ، إذ هي نجاة من الخوف ، قال تعالى :" فأنجيناه وأصحاب السفينة " وكمن يرى في منامه أنه في بئر ، فإنه يمكر به ، لقوله – صلى الله عليه وسلم - :" البئر جبار " وقد يكون التعبير بالشعر ، كمن يرى غنما ترعى ، فأتى الذئب عليها ففرقها ، وقتل بعضها ، فإن هذا يدل على أن سلطان تلك الناحية يضيع رعيته حتى يتولى أمرهم عدوه لقول الشاعر :

ومن رعى غنما في أرض مأسدة ونام عنها ، تولى رعيها الأسد (٨٨)

وبعد القرآن والسنة وشعر العرب نجد أيضا تفسيرا معتمدا على الأمثال ، لقولهم فيمن رأى أنه غسل يديه - في المنام – بالأشنان (٨٩) – أو بغيره – بأنه اليأس من شيء يطلبه ، لقول الناس لمن يُيْأس منه " قد غسلت يدي منك بأشنان " وكقولهم في تأويل الكبش إنه رجل عزيز منيع لقول

١- العجلوني : ٣٠٧/٢ .
٢- السيوطي : الدرر المنتثرة ، ص ١٠٧ .
٣- يأكل القمامة والقاذورات .
١- الدميري – حياة الحيوان الكبرى ، ١١٠/١.
٢- النابلسي ٧/١ .
٣- الأشنان : شجر ينبت في الأرض الرملية يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي ، انظر : المعجم الوسيط ١٩/١ .

الناس " هذا كبش القوم " وكقولهم في الصقر إنه رجل له شجاعة أو شوكة ، ففي المثل : " هو صقر من الرجال [٩٠] " .

وهكذا نجد القرآن والحديث المكونيْن الأهم في ثقافة المسلمين يأتيان على قمة ما يعتمد عليه في تفسير الرؤيا ، يليهما الشعر فهو ديوان العرب ، ثم الأمثال ، وهذه الأربعة مكونات رئيسة في ثقافة العرب .

٢- ويختلف تعبير الرؤيا باعتبار الأديان ، فإن الدين مكون مهم ورئيس في ثقافة الناس ، خاصة العرب ، ولإيمان العرب بالآخر ، سيما من اختلف معهم في الدين فإنهم قد اعترفوا في أدبياتهم الخاصة بتفسير الأحلام باختلاف تفسير المنامات عند أصحاب الأديان الأخرى ، كيف ؟

يقول النابلسي [٩١] : " ويختلف التعبير أيضا باختلاف الأديان ، كمن يرى أنه يأكل الميتة ، فالميتة مال حرام أو نكد في المنام عند من يعتقد تحريمها ، ورزق وفائدة عند من يحلل أكلها " .

" وكمن يرى أنه يأكل "(الباقلا [٩٢]) الأخضر فإنه عند الصابئة [٩٣] مال حرام ونكد لكونه محرما عليهم ، والمجوس [٩٤] يحرمون اللحوم – فهم نباتيون – واليهود يحرمون لحم الجمال ، وبعض اليونانيين يحرمون الدجاج والمسلمون يحرمون الخمر ، فهذا وما أشبهه مال حرام عند من يعتقد ذلك ، ولكنها أرزاق وفوائد عند من يحللها [٩٥] " .

ويستمر النابلسي في ضرب الأمثلة حتى يذكر بعض الأمثلة الصارخة في عرف المسلمين ، منها أن المرأة إذا رأت أنها تزني في العلن وفي مجتمع من الناس فهي شهرة رديئة ونكد – فضيحة – إلا أنها في بعض البلاد التي سماها النابلسي تدل على أنها تتقرب إلى الله بعبادة وبر ، ويكون لها ثناء مليح ، كيف ولم ؟ لأن بعض الكفار يتقربون إلى آلهتهم بالزنا بمقتضى دينهم الباطل[٩٦] .

والمجوس يعبدون النار ، فإذا رأى أحدهم أنه أوقد نارا أو صرف عنها الأذى أو سجد لها كان ذلك عندهم فائدة وعبادة ، وكذلك عباد الشمس إذا رأوها في صفة حسنة ، هذا جيد عندهم ، وإن نزلت بالنار أو الشمس آفة فنقصان يقع في دينهم وبلادهم ،وكذا الحكم في كل من يعظم شيئا في السماء أو الأرض .

١- ابن سيرين .
٢- ٢/٣٦٠ .
٣- البقول .
٤- قوم يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنهم على ملة نوح .
٥- الذين يعبدون النار .
٦- النابلسي ٢/٣٦١ .
١- السابق ٢/٣٦٢ .

بل إن السمك تدل رؤياه في بعض البلاد – أو كانت – على العفونة ، وفي بعضها تزويج ، خاصة إن كان من واحدة إلى أربع ، سيما في المجتمعات الإسلامية ، حيث الزواج من واحدة إلى أربع فقط ، ولكن السمك كان عند بعض الأقوام معصية ؛ لأنهم يحرمون أكل السمك ، وكذلك كل من يحرم أنواعا من السمك ، أو من غيره من اللحوم أو الطعوم ، كمن يحرم أكل سمك القراميط أو لحم الأرنب ؛ اعتقادا أن هذه الأخيرة تشبه القطط ، وهذه قصة أخرى ، قضية تفجرها هذه الدراسة ، أو تثيرها ضمن عديد من القضايا التي فجرتها .

٣- ومرة أخرى مع أصول تعبير الرؤيا ، مما يعتمد على الثقافة ، يقول النابلسي :" وتعبير الرؤيا لا يكون إلا بعد معرفة الأصول ، مثل أن يعرف أن القمح والشعير والتين والدقيق والعسل واللبن والصوف والحديد والملح والتراب ونحو ذلك أموال ، وأن الفرس والأسد والذئب والجبل والشجر والطير والوحش ونحو ذلك رجال ، وأن السرج والإكاف[٩٧] وإناث الطير وإناث الحيوان ونحو ذلك نساء ، وأن النمارق[٩٨] والوسائد والأباريق والطسوت [٩٩] ونحو ذلك خدم وعبيد[١٠٠]" .

إن ثقافة المجتمع آنذاك هي التي حددت معنى كل هذه الأشياء السابقات في المنامات وقسمتها هذه الأقسام الأربعة ، النمارق والوسائد . . . الخ خدم وعبيد ، فهذه أشياء في خدمة الإنسان ولخدمته ورفاهيته ، أما القمح والشعير . . . فهي أموال ، لأنها سلع تقوم بالمال ، حتى التراب ، كيف ؟ منه وفيه تنبت الزروع والثمار ، ومنه كانت – ولا تزال – تبنى منه البيوت ، وتستخرج منه المعادن . . . الخ .

كما أن الفرس والأسد . . . رجال لما كان ينظر إلى الرجل من صفات هذه المخلوقات من القوة والنفع والاحترام والحركة ، وكذلك الشأن في اعتبار إناث الطير والحيوان نساء ، أما السرج والبرذعة وما أشبهها فلأنها دائما في خدمة الرجل وفي طاعته ، كما أن المرأة في خدمة الرجل وطاعته ، أو من المفترض أن تكون كذلك .

ثالثا – اللغة : ومن الثقافة ننتقل إلى اللغة ، هذه الأخيرة أساس مهم من أسس تفسير الأحلام ، يقول النابلسي [١٠١] : " والتأويل بالمعني أو باشتقاق الأسماء " كيف ؟ :

١- البرذعة .
٢- مفرد نُمرقة الوسادة الصغيرة يتكأ عليها أو توضع فوق الرحل وتسمي في العامية المصرية (التكاية) لأنه يُتَّكأ عليها .
٣- مفرد طست ، في العامية المصرية (تشت) أو (طشط) بالتفخيم .
٤- النابلسي ٣٥٤/٢ .
١- ٢٤٩/٢ .

١- يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم :" إذا أشكل عليكم الرؤيا فخذوا بالأسماء " يفسر ابن سيرين [١٠٢]:"وبيانه أن اسم سهل من السهولة وسالم سلامة ، وأحمد ومحمد محمدة ، ونصر نصرة ، وسُعاد سعادة" و هكذا .

٢- أما ابن سيرين فيقول :" فأما التأويل بالأسماء فتحمله على ظاهر اللفظ ، كرجل يسمى الفضل تتأوله إفضالا ، ورجل يسمى راشدا تتأوله إرشادا أو رشدا ، أو سالما تتأوله السلامة ، وأشباه هذا كثيرة " .

وروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – انه قال :" رأيت الليلة كأنّا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب لِين طابٍ " وطاب بمعني طيب ، أما (لِين) بكسر اللام فهو التمر الجيد ، ولكن كيف أول الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما رأى ؟ يقول سيد الخلق :" فأولت الرفعة لنا في الدنيا والآخرة ، وان ديننا قد طاب ".

ويوضح ابن سيرين [١٠٣] بقوله :" فأخذ من رافع الرفعة ، واخذ من :" رطبٍ لِين طابٍ " طيب الدين ، وهو ما تدل عليه الكلمات الثلاث ، خاصة الأخيرتين ، أي (لِين) و (طاب) أي جيد طيب ، كما سبق .

٣- ويقول النابلسي :" والمنام الواحد قد يختلف باختلاف لغتين كالسفرجل ، هو عز وجمال وراحة لمن يعرف لغة الفرس ؛ لأنه بلغتهم بهاء ، وهو للعرب ولمن عاشرهم دال على السفر والجلاء لاشتقاقه " منهما ، أي من (سفر + جل) .

رابعا – تباين أقدار الناس : وهذه قيمة أخرى مهمة في حضارتنا ، وهي أنها تعرف لكل إنسان قدره وفضله ، ففي الكتاب الكريم :

١- " ليسوا سواء [١٠٤] " مَنْ هؤلاء الذين يتحدث عنهم القرآن الكريم ؟ " من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين " فما جزاؤهم عند الله ؟ " وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين ".

إن القرآن الكريم يقرر مبدأ مهما في التعامل مع الآخرين ، وهو عدم التعميم ، فهؤلاء هم أهل الكتاب ، إن منهم من يتلو آيات الله آناء الليل ، بل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ،

٢- ٢٠/١ .
٣- ٧/١ .
١- ١١٣ آل عمران .

ويأمرون . . . الخ ، فالقرآن الكريم يعترف لهؤلاء القوم بالفضل ، بل يقرر أنهم لن يحرموا جزاء ما فعلوا ومن هنا تعلم المؤمنون أن يقروا لكل ذي فضل بفضله .

٢- " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون [١٠٥] " فرْق بين المؤمن والفاسق ، فما الجزاء ؟ " أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ، وأما الذين فسقوا ، فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها ، أعيدوا فيها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون " .

٣- " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة – وكلا وعد الله الحسنى – وفضل الله المجاهدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيما [١٠٦] .

اعترف القرآن الكريم بما للمجاهد من فضل وأجر على القاعد ، غير المجاهد ، وبرغم هذا فإنه لم يمنع المؤمنين الآخرين أجرهم ، بل قال : " وكلا وعد الله الحسنى " أي الجنة .

٤- " قل : هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب [١٠٧] " .

٥- " وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السماوات والأرض ، لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير [١٠٨] " .

فرق بين من أسلم في مرحلة مكة فصبر مع محمد – صلى الله عليه وسلم – واحتسب ، ثم قاتل معه في المدينة قبل الفتح ، فرق بين المهاجرين والأنصار وبين من أسلم بعد الفتح حين استقر للمسلمين الأمر ، ورضخت قريش في النهاية ، ومع هذا فالقرآن الكريم يعرف لمن أسلم بعد الفتح حقه وقدره فيقول :" وكلا وعد الله الحسنى " الجنة جزاء لكلا الفريقين المؤمنَيْن.

وفي الحديث الشريف أيضا مما يشير إلى تقدير الإسلام لكل صاحب قدر:

١- فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم [١٠٩] .

٢- فضّل العالم على العابد بسبعين درجة ، ما بين كل درجتين ، كما بين السماء والأرض [١١٠] .

٢- ١٨ السجدة .
١- ٩٥ ، ٩٦ النساء .
٢- ٩ الزمر .
٣- ١٠ الحديد .
١- العجلوني : ٨٦/٢ .
٢- السابق .

٣- " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير [١١١] " برغم أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ، إلا أن الحديث لم يَغمط من شأن المؤمن الضعيف ، بل عرف له قدره لإيمانه ، فنص الحديث على أنه : (في كل) في كليهما ، أي المؤمن القوي وأيضا المؤمن الضعيف ، في كليهما (خير) وهكذا .

بعد تيك التقدمة ندلف إلى اعتبار أقدار الناس في تفسير الأحلام ، إن هذا جزء من الثقافة الإسلامية التي عرفت لكل ذي فضل فضله وقدره ، فنقول :

يرى النابلسي [١١٢] أن الرؤيا تتغير باختلاف هيئات الناس وصنائعهم وأقدارهم وأديانهم ، فتكون لواحد رحمة ، وعلى آخر عذاب ، كيف ؟ يشير ابن شاهين [١١٣] إلى أن رؤيا الملوك الصالحين إلهام من الله تعالى [١١٤] ، ورؤيا النسوة تخرج عن قريب ، ورؤيا الفساق حجة يوم القيامة عليهم ، ورؤيا الأغنياء آكد في الصحة من رؤيا الفقراء ، لأن الفقراء في هم وغم من العسر والإقتار ، ورؤيا الفقراء تتأخر إن كانت حسنة ، وإذا كانت غير جيدة تظهر سريعا .

كما يرى ابن شاهين أن رؤيا الصغار الذين لم يبلغوا الحلم أصح من غيرهم ؛ لكونهم لم يعصوا الله ، ورؤيا الذي بلغ منهم أضعف ؛ لكونهم مشتغلين بشهواتهم . . . ورؤيا المسلم أصدق من رؤيا الكافر ، ورؤيا العالم أصدق من رؤيا الجاهل ، ورؤيا المستور أصدق من رؤيا الرجل النحس ، ورؤيا الشيخ أصدق من رؤيا الشاب .

أما النابلسي [١١٥] فيقول : وتتغاير رؤيا المؤمن والكافر والمستور والفاسق ؛ فإن المستور إذا رأى في منامه أنه يأكل عسلا فإن تأويله حلاوة القرآن والذكر في القلب ، وهو للكافر حلاوة الدنيا وغنيمتها .

شيخ المفسرين ابن سيرين [١١٦] يصرح بأن كل ماله وجهان ، وجه يدل على الخير ، ووجه يدل على الشر ، أعطى لرائيه من الصالحين أحسن وجهيه وأعطى لرائيه من الطالحين أسوأهما وأقبحهما ، كيف ؟

٣- السابق ٢٩٨/٢ .
٤- ٣٥٢/٢ .
٥- ٣٦١/٢ .
٦- في الحديث الشريف :" ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم . . . " العجلوني ٣٢٥/٢ .
١- ٣٥٤/٢ .
٢- ٤/١

وهذا مثال آخر يستشهد به المعبرون على ما سبق ؟ إن الرجل يرى أنه مغلول اليد أو العنق ، فإن كان للرائي سيماء الخير والدين فهو صلاح في حقه، واجتناب الشر والفساد ، وإن كانت سيماه ضد هذا وعكسه فهو كثير المعاصي ومن أهل النار ، أجارنا الله منها بكرمه ومنه (١١٧) .

مثالان أخيران نقتبسهما من ابن سيرين :

- الأصل في باب الأذان أن من رآه إذا كان أهلا له وأذن في موضع الأذان كان محمودا وخيرا للرائي ، فإن كانت الأخرى ، أي رآه من ليس بأهله أو في غير موضعه كان مكروها ؛ وهو ما توضحه هذه الحكاية :

جاء رجل إلى ابن سيرين ، فقال : رأيت كأني أؤذن ، فقال : تحج ، وأتاه آخر فقال : رأيت كأني أؤذن ، فقال : تقطع يدك ، وعجب الناس من جلساء ابن سيرين فقالوا له : كيف فرقت بينهما ؟ قال : رأيت للأول سيما حسنة ، فأولت :"وأذن في الناس بالحج . . ." ورأيت للثاني سيما غير صالحة ، فأولت :"فأذن مؤذن أيتها العير ، إنكم لسارقون".

وهكذا تجد الحضارة الإسلامية تعرف أقدار الناس ، وتفرق بين خيِّرهم وشريرهم ، فتضع كلا في مكانه اللائق به ، أما حضارة اليوم فلعلها تضع الشرير ، المجرم المعتدي في المكان الأعلى السامق السامي ، في الصدارة والقمة ، ولعلها تحارب الخير وأهله حربا ، لا هوادة فيها .

لكنها في معظم الأحيان أو في بعضها لا ترى فرقا بين المجرم والمصلح فقد يسافر أحد عباد الله المساكين الذين لا حول لهم ولا طول ليجد في جوازه تهديدا يقول :(تاجر المخدرات عقوبته الإعدام) وهو لا ناقة له ولا جمل ، لا في المخدرات ، ولا يحزنون .

وقد يسافر مريض للعلاج ، ربما محمولا على نقالة أو على كرسي المقعدين المتحرك ، ويكون غرض السفر وبيانات الحالة ومؤشراتها تشير إلى مرضه المُقعِد ، ولكن المسكين يحظى بتحذير شديد اللهجة بأن تأشيرة الدخول لا تسمح له بالعمل أو الشغل في البلد المضيف ، بل وقد يهدد بعقوبة صارمة إن هو سمح لنفسه ، أو سمح أحد له بالعمل .

هذي نمطية الحضارة الحاضرة التي لا تفرق بين صالح وطالح ، بل لعلها تنظر إلى الجميع بعين واحدة ، أو قد ترى عباد الله الضعفاء المساكين على أنهم سبب كل الويل والثبور وعظائم

٣- ابن سيرين وجعفر الصادق : تفسير الأحلام ، يقدمه حسن البارودي ، القاهرة ، ص ٩ .

الأمور ، أين هذا كله من حضارة الإسلام التي تفرق الخيرِّ والشرير حتى في تفسير أحلامها ، نقول : أين وأين ، بل أين وأين !! .

خامسا – التفسير بالضد والعكس : بقى لدينا أساس أخير – في رأينا – لتفسير الأحلام في التراث العربي ، وهو التفسير بالضد والعكس ، فماذا نجد من هذا في تراثنا العربي المرموق السامق ؟

يقول ابن سيرين [١١٨] :" وأما التأويل بالضد والمقلوب فقولهم في البكاء إنه فرح ، وفي الضحك إنه حزن ، وكقولهم في الرجلين يصطرعان والشمس والقمر يقتتلان إذا كانا من جنس واحد أن المصروع هو الغالب ، والصارع هو المغلوب ، وقولهم في الطاعون إنه حرب ، وفي الحرب إنه الطاعون وفي العدو إنه سيل ، وفي السيل إنه عدو ، وفي أكل التين إنه ندامة ، وفي الندامة إنه أكل تين ، وقولهم في الجراد إنه جند ، وفي الجند إنه جراد ".

وفي موضع آخر يقول الشيخ ابن سيرين [١١٩] :" والبغي على الباغي والمبغي عليه منصور ، لقوله تعالى : إنما بغيكم [١٢٠] على أنفسكم - . . . ثم بغى

عليه لينصرنه الله ، والتهدد ظفر للمتهدَّد بالمتهدِّد ، وأمن له وأمان ، وأما الحسد فهو فساد للحاسد وصلاح للمحسود ، وأما الخداع فإن الخادع مقهور ، والمخدوع منصور ؛ لقوله تعالى : وإن يريدون أن يخدعوك فإن حسبك الله ، والخصومة المصالحة ، فمن رأى أنه خاصم خصما صالحه . . . وأما الغالب في النوم فمغلوب في اليقظة ، وأما المصارعة فإن اختلف الجنسان فالصارع أحسن حالا من المصروع ، كالإنسان والسبع ، فإن كانت المصارعة من رجلين فالصارع مغلوب ".

ويحكى أن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – رأى في منامه أنه تصارع هو وعبد الملك بن مروان فصرعه ، وسمره في الأرض بأربعة أوتاد ، فلما أصبح يعث رجلا إلى محمد بن سيرين – رحمة الله عليه – وأخبر الرسول أن لا يذكر صاحب المنام ، لا الصارع ولا المصروع ، فلما دنا الرسول من الإمام ، وقص عليه الرؤيا ، قال : ما هذه رؤياك ، وما يصلح أن يرى هذه الرؤيا إلا عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ، فأنكر الرجل ، وقال : إنها رؤياي ، فقال الإمام : لا أقص عليك تعبيرها حتى تصدقني القول ، فلما قص الرجل عليه حقيقة الرؤيا ، قال ابن سيرين – رحمة

١- ٢/٩، ٨ .
٢- ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩ .
٣- ٢٣ يونس .

الله عليه : إن عبد الملك إبن مروان هو الغالب لعبد الله بن الزبير ، وهو قاتله ، وأن أولاد عبد الملك ليخلفون أباهم على الحكم ، وذلك لتسميره في الأرض بالأوتاد ، فكان الأمر كما عبر الشيخ ابن سيرين [١٢١] .

بقى عبد الله بن الزبير يقاوم الأمويين عشر سنين حتى دكوا مكة دكا بالمجانيق ، بل أحرقوا الكعبة ، ولم يكتفوا بهذا بل أمطروها بالمجانيق والحجارة ، فسقط واحد منها على رأس ابن الزبير فلقى ربه – رحمه الله – فاحتز قائد الجيش الأموي (الحجاج بن يوسف الثقفي) رأسه ؛ ليرسل بها إلى عبد الملك بن مروان ، وكان هذا سنة ثلاث وسبعين هجرية [١٢٢] .

ونختم التفسير بالضد باقتباس من النابلسي [١٢٣] :" من رأى في المنام انه يعادي رجلا فإنه يواده ويصحبه ، ويفشو أمره ويظهر منه ما كان يكتمه ، ومن رأى أن إنسانا أظهر له عداوة فإنه يصادقه ، والعداوة إظهار الكتمان ، والعدو هو في المنام يدل على رفع القدر على المعاند والمضاد ، والتأييد من الله تعالى والنصر على المخاصم .

وفي مكان آخر يقول النابلسي [١٢٤] :" صبي : هو في المنام هم وغم إذا كان طفلا يحمل . . . ومن رأى أن في حجره صبيا يصيح فإنه يضرب العود ، والصِّغار في المنام تدل رؤيتهم على الإجرام . . . وربما دلت رؤية الصِّغار إذا كانوا أولاد الرائي على الفتنة بالمال ، وربما دلت رؤية الصغار على اطراح الكَلَف ، والقناعة بالأدنى ، أو العجز عن الأسباب ، وربما كان الصغير غلاما للقُنية [١٢٥] – والخدمة – لأنه معدود [١٢٦] لقضاء الحاجة كالغلام ، وربما دل قتله على العلم الوافر لقصة الخضر ، عليه السلام " الذي قتل الغلام ، كما جاء في قوله تعالى :" فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله " ويعجب نبي الله موسى – عليه السلام – فلم يملك إلا أن :" قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا [١٢٧] " ويفسر الخضر – عليه السلام – ما فعله في آية لاحقة ، هي : "

١- ولم يكتف القوم بهذا بل صلبوه أيضا ، جاء في كتاب الروح لابن القيم : " دخل ابن عمر المسجد الحرام بعد قتل ابن الزبير وهو مصلوب ، فأتى أسماء يعزيها ، فقال لها : عليك بتقوى الله والصبر ، فإن هذه الجثث ليست بشيء ، وإنما الأرواح عند الله " فماذا قالت الأم الصابرة المحتسبة ، بنت أبي بكر ، وزوج الزبير بن العوام – رضي الله عنهم أجمعين ، لقد قالت لابن عمر : " وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحي بن زكريا إلى بغى من بغايا بني إسرائيل " .

١- ابن الجوزي : صفوة الصفوة ، ٧٧٢/١ ، وانظر – ابن قتيبة ؛ الإمامة والسياسة ، ص ٣١ .
٢- ٨٧/٢ .
٣- ٤٦/١ ، ٤٧ .
٤- للاقتناء .
٥- يبدو أنه يقصد الرقيق من الأطفال الذي يعد ويقتنى للخدمة ، أو لخدمة صاحبه .

جئت شيئا نكرا [١٢٧] " ويفسر الخضر – عليه السلام – ما فعله في آية لاحقة ، هي : " وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما [١٢٨] " .

وهكذا نجد الصبي والغلام والولد يفسر – أو قد يفسر – بأنه عدو ، وشتان بين الأولاد والأبناء وبين الأعداء ، ولعل هذا التفسير متأثر أو مقتبس من قوله تعالى :" وإن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم [١٢٩] " والذي أفهمه من الآية ، أو من بدئها " وإن من . . . " أي بعض هؤلاء الأزواج أو الأبناء قد يكونون أعداء لأزواجهم وأبنائهم ، بعض هؤلاء ، بعض فقط ، قد يكونون لنا أعداء ، وليس كلهم ، أو في كل الأحوال .

ولذا يقول الله – تعالى :" فاحذروهم " أي احذروا أن تطيعوهم في التخلف عن الخير ، كالجهاد والهجرة [١٣٠] ، وفي الآية التالية لهذا التحذير :" إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم [١٣١] " وفي الحديث الشريف:" إن الولد مَجْبنة مَبْخلة [١٣٢] " أي قد يؤدي حبه إلى الجبن والبخل .

والآن انتهينا من الأسس التي رأيناها حاكمة ومؤطرة لعملية تفسير المنام ، وقد آن الآوان وحان كي ننتقل إلى الموضوع التالي والذي سيخصص لذكر بعض نماذج الرؤى الصادقة .

من الرؤى الصادقة

نذكر هنا بعض نماذج الرؤى الصادقات ، كما وجدناها في التراث العربي وخاصة في الكتب الثلاث التي اعتمدت عليها الدراسة ، وهي كتب ابن سيرين وابن شاهين والنابلسي ، وقد فصلنا الكلام عن هذي الكتب ومؤلفيها قبلا في بدء الدراسة .

١- ٧٤ الكهف .
٢- ٨٠ ، ٨١ الكهف .
٣- ١٤ التغابن .
٤- تفسير الجلالين ص ٦٣ .
٥- ١٥ التغابن .
٦- ابن ماجة : ١٢٠٩/٢ .

وقد حاولنا انتقاء هذه الرؤى مما لا شهرة له بين الناس ، ولا عهد لكثير منهم بها ، ولنبدأ في المنامات ولا نضيع وقتا في المقدمات :

١- أبيات ابن الصيفي : قرأت في كتاب ابن شاهين [١٣٣] أن الشيخ نصر الله وكان من ثقاة أهل السنة رأى في المنام على بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقال له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف[١٣٤] ما تم ، فقال له الإمام على : أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ، ويرد نصر الله : لا ، فقال عليّ له : لتسمعها منه .

ويبدو أن الرجلين كانا صديقين جارين ، لأن صاحب المنام عندما استيقظ بادر إلى دار ابن الصيفي ، وعندما خرج إليه حكى له الرؤيا ، وإذا بالشاعر يشهق ويجهش بالبكاء ، يقسم بالله بأن هذه الأبيات لم تخرج من فمه ولا من خطه لأحد ، وأنها لم تنظم إلا في ليلتي هذه فقط ، ثم أنشده :

ملكنا فكان العفـــو منا سجية	فلما ملكتمْ ســال بالدم أبطـــح
وحللتمُ قتل الأســـارى وطالما	غدونا على الأسرى نعفّ ونصفح
وحسبكمُ هذا التفـــاوت بيننا	وكل إنـــاء بالذي فيه ينضـــح

فمن هو ابن الصيفي هذا ؟ سألنا المختصين ، لم نحظ بإجابة شافية ، اتجهنا إلى الشبكة الدولية ، ظهرت لنا معلومات وافرة عن الشاعر الكريم ، وقد أحالتنا الشبكة إلى مجموعة من المراجع ، منها وفيات الأعيان لابن خلكان الذي ترجم لابن الصيفي :

هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي الملقب بشهاب الدين ، الشاعر المشهور ، كان فقيها شافعي المذهب تكلم في مسائل الخلاف إلا أنه غلب عليه الأدب ، ونظم الشعر ، وأجاد فيه مع جزالة لفظه ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لهجاتهم ، كما أن له رسائل فصيحة بليغة.

ويقال بأن الرجل كان شديد الاعتزاز بنفسه وبلغته ، فكان لا يخاطب أحدا إلا بلسان العرب ، بل كان يلبس زي العرب ، متقلدا السيف ، كما كان يفعل أجدادنا العرب ، لقد كان شاعرنا يرى أنه من ولد أكثم بن صيفي التميمي ، حكيم العرب .

ويقال بأن أبا الفوارس رأى الناس في حركة مزعجة مضطربة وأمر شديد ، فقال : ما للناس في حيص بيص (شدة واضطراب) فلقبه بعض الناس بلقب (حيص بيص) توفى – رضي الله عنه

١- ٢/٣٥٢ .
٢- يوم قتل الحسين في كربلاء ٦١ هـ ، وسميت الواقعة بيوم الطف ، لأنها وقعت على طف الفرات ، أي على شاطئه .

– ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة ٥٧٤ هـ ، وذلك ببغداد ، ودفن بالجانب الغربي ، في مقابر قريش ، رحمه الله تعالى [١٣٥] .

٢- دعاء للفرج : قال عبد الله بن مالك : كنت شرطيا عند هارون الرشيد ، فأتاني رسوله ليلا في وقت لم يأتني فيه قط ، فانتزعني من فراشي ، ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك ، فلما صرت إلى الدار ، أذن لي في الدخول ، فدخلت فوجدت هارون الرشيد قاعدا على فراشه ، فسلمت عليه ، فمكث ساعة ، فطار عقلي ، وتضاعف الجزع عليَّ ، ثم قال : يا عبد الله ، أتدري لماذا طلبتك في هذا الوقت ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، قال : رأيت الساعة في منامي كأن عبدا حبشيا قد أتاني ومعه حربة ، فقال : إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة ، وإلا نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب فخلِّ عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ، وعاودته ثلاث مرات ، قال : امض الساعة حتى تطلقه ، وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له : إن أحببت المقام قِبَلنا ، ولك عندنا ما تحب ، وإن أحببت السير إلى المدينة فالإذن في ذلك لك .

قال الشرطي : فجئت إلى الحبس وأخرجته ، وأعطيته ما أمر به أمير المؤمنين ، ثم قال للإمام موسى بن جعفر : قد رأيت في أمرك عجبا ، وقص عليه ما كان في هذه الليلة ، يقول الإمام : فإني أخبرك ، إني كنت بين النائم واليقظان ، فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال :" يا موسى ، حُبست مظلوما ، فقل هذه الكلمات ، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس" فقلت: بأبي وأمي ما أقول ، قال :" قل يا سامع كل صوت ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسي العظام لحما ، ومنشزها لحما بعد الموت ،أسألك بأسمائك الحسنى ، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون ، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليما ذا أناة ، ارحم من لا يقوى على أناة ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ، ولا يحصى عددا ، فرج عني " فكان أن فرج الله عنه ، كما سبق [١٣٦] .

٣- قراءة الزيات : قال سليم بن عيسى : دخلت على حمزة بن حبيب الزيات – رضي الله عنه – يمرغ خديه في الأرض ويبكي ، فقلت : أعيذك بالله ، ما هذا البكاء ؟ فقال : رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت ، وقد دعي بقراء القرآن ، فكنت ممن حضر ، فسمعت قائلا يقول بكلام عذب :" لا يدخل إلا من عمل بالقرآن " فرجعت القهقري ، فهتف هاتف باسمي :" ابن حبيب الزيات" فقلت : لبيك داعي الله ، فبادرني ملك ، فقال : قل لبيك اللهم لبيك ،

١- ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٦٢/٣ .
١- ابن شاهين ٣٥٢/٢ .

فقلت كما قال . فأُدخلت دارا سمعت بها ضجيج القراء ، فوقفت أرعد ، فسمعت قائلا يقول :" لا بأس عليك ، اقرأ وارق ، فرقيت " فأدرت وجهي فإذا أنا بمنبر من در أبيض ومرقاة [١٣٧] من ياقوت أحمر ، ومرقاة من زبرجد أخضر ، فقيل : اقرأ وارق ، فرقيت ، فقال لي :" اقرأ سورة الأنعام " فقرأت ، وأنا لا أدري على من أقرأ ، حتى بلغت رأس الستين آية : " وهو القاهر فوق عباده " قال:" يا حمزة ، ألست القاهر فوق عبادي " فقلت : بلى .

قال :" صدقت ، اقرأ " فقرأت الأعراف ، حتى بلغت آخرها ، فأوميت بالسجود ،قال:" حسبك ، فامض لا تسجد يا حمزة ، من أقرأك هذه القراءة ؟" قلت : " سليمان " يقصد شيخه سليمان بن مهران الأعمش ت ١٤٨ هـ ، قال : "صدق ، من أقرأ سليمان ؟" قلت :" يحيى " قال :" صدق يحيى ، على من قرأ يحيى " أي ابن وثاب ، ت ١٠٣ هـ ، قلت :" على أبي عبد الرحمن [١٣٨]" عبد الله بن حبيب السلمي ، ت ٧٣ هـ .

قال :" صدق أبو عبد الرحمن ، من أقرأ أبا عبد الرحمن " قلت : ابن عم نبيك على بن أبي طالب ، قال : صدق عليّ ، فمن أقرأ عليا ؟ فقلت : نبيك محمد – صلى الله عليه وسلم – قال : صدق نبيي ، فمن أقرأ نبيي ؟ فقلت جبريل – عليه السلام – قال : فمن أقرأ جبريل ؟ فسكتّ ، قال يا حمزة : قل أنت ، قلت : لا أحسن أن أقول ، قال : قل أنت ، فقلت : أنت ، قال : صدقت يا حمزة ، وحق القرآن لأكرمن أهل القرآن ، لا سيما إن عملوا بالقرآن ، يا حمزة: القرآن كلامي ، ما أحببت أحد كحبي لأهل القرآن .

ادن مني يا حمزة ، فدنوت فغمس يده – سبحانه – في الغالية [١٣٩] ، ثم ضمخني بها ، ثم قال : لست أفعل بك وحدك هذا يا حمزة ، قد فعلت بنظرائك ، من فوقك ومن دونك ، ومن قرأ القرآن كما قرأت ، لم يُرد غيري ، وما خبأت لكم عندي فأكثر ، فأعلم أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن ، فهم المصطفون الأخيار ، يا حمزة : وعزتي وجلالي لا أعذب لسانا تلا القرآن بالنار ، ولا قلبا وعاه ، ولا أذنا سمعته ، ولا عينا نظرته ، فقلت : سبحانك يارب .

٢- درجة من درجات المنبر .
١- كان أبو عبد الرحمن يقول : قرأت على أمير المؤمنين عليّ – رضي الله عنه – القرآن كثيرا ، وأمسكت عليه المصحف ، فقرأ عليَّ ، وأقرأت الحسن والحسين – رضي الله تعالى عنهما – حتى قرآ عليَّ القرآن ، وكانا يدرسان على أمير المؤمنين ، عليّ رضي الله عنه ، انظر – ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ، ص ٦٩ .
٢- أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر . . . الخ .

فقال : يا حمزة ، أين نظار المصاحف ، فقلت : يارب أي حفاظها ؟ فقال " هم ، ولكني لهم حتى يلقوني إلى يوم القيامة ، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة " وبهذا ينتهي الحوار بين حمزة وبين ربه ليقول لمحدثه سليم بن عيسى : أفتلومني أن أبكي ، وأن أمرغ وجهي في التراب (١٤٠) ؟!.

وتحتاج هاتيك الرؤيا إلى الوقوف عند بعض رجالاتها ، فمن هو سُليم الذي روى عن ابن الزيات كل ما سبق ؟ إنه سليم بن عيسى الحنفي الكوفي ، أضبط أصحاب حمزة ، وأقومهم بحَرفه ، كان – رضي الله عنه – إماما في القراءة ، ضابطا محررا حاذقا ، وكان أخص أصحاب حمزة ، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة في الكوفة ، قال يحيى بن عبد الملك :" كنا نقرأ على حمزة ، فإذا جاء سُليم ، قال لنا حمزة : تحفظوا – أو – تثبتوا ، فقد جاء سليم " الذي توفى ١٨٨ هـ ، رضي الله عنهم أجمعين (١٤١) .

ثم من هو حمزة ؟ الزيات الكوفي هو أحد القراء السبعة ، وقراءته قراءة سبعية ، أي من القراءات السبع ، ما معنى هذه السبع وهؤلاء السبعة ؟ وللإجابة نقول باختصار عندما نزل القرآن الكريم على قلب سيدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يشترط لصحة القراءة أن تثبت عن رسول الله ، أي أن تكون صحيحة السند عنه ، وعندما كتب المصحف الإمام أو المصحف العثماني ؛ لأنه كتب في عهد عثمان بن عفان – رضي الله – أضيف شرط ثانٍ هو موافقة الرسم العثماني أو المصحف العثماني ، أو أحد المصاحف العثمانية الخمسة .

لأن هذه المصاحف الخمسة أرسلت إلى الأمصار ، واحد إلى مكة ، وآخر إلى البصرة وثالث للكوفة ، ورابع إلى دمشق ، وبقى الخامس في المدينة المنورة ، فاشترط للقراءة الصحيحة أو لكي تكون القراءة صحيحة أن توافق أحد هذي المصاحف ولو احتمالا .

وبعد فترة اشترط العلماء شرطا ثالثا للقراءة الصحيحة هو موافقة قواعد اللغة العربية ، ولو بوجه ، أو بوجيْه ، بوجه ضعيف عند النحاة أو غريب أو شاذ ، إذا توافرت للقراءة صحة السند وموافقة الرسم العثماني .

وعليه فقد أصبحت القراءة الصحيحة ، التي يصح القراءة بها في الصلاة وخارج الصلاة تعتمد على ثلاث ركائز مهمة :

- صحة السند وهي الأهم .
- موافقة الرسم العثماني ، ولو احتمالا .

١- ابن شاهين : ٣٦٠/٢ ، ٣٦١ ، وقد وردت الرؤيا بنصها السابق في (صفوة الصفوة لابن الجوزي) ١٥٦/٣.
٢- ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ١٦٦/١ .

- موافقة قواعد اللغة العربية ، ولو بوجه ، أو وجيه.

ولكن العلماء أدركوا أن هذي الشروط لا يسْطيع تطبيقها عامة الناس ، ومن ثم رأوا أن يحددوا للناس القراءات الصحيحة التي توافرت فيها الشروط والمشهور أن محمد بن أبي بكر مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) هو أول من سمى هؤلاء القراء الذين رأى أن شروط القراءة تنطبق عليهم ، وكان هؤلاء سبعة ، فسموا القراء السبعة ، وقراءاتهم هي القراءات السبع ، وكل قراءة منها تسمى قراءة سبعية ، أي واحدة من هذه السبع ، وهي قراءات :

١- عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي ، نسبة إلى الشام ، ت ١١٨ هـ .

٢- عبد الله بن كثير المكي ، ت ١٢٠ هـ .

٣- عاصم بن أبي النجود الكوفي ، ت ١٢٧ هـ .

٤- أبو عمرو بن العلاء البصري ، ت ١٥٤ .

٥- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ، ت ١٥٦ هـ .

٦- نافع بن أبي نعيم المدني ، ت ١٦٩ هـ .

٧- على بن حمزة الكسائي الكوفي ، ت ١٨٩ هـ .

ولكن العلماء أضافوا إلى هذي السبع ثلاث قراءات أخر ، هي قراءات كل من :

١- أبو جعفر ، يزيد بن القعقاع المدني ، ت ١٣٠ هـ .

٢- يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري ، ت ٢٠٥ هـ .

٣- خلف بن هشام البغدادي ، ت ٢٢٩ هـ .

فأصبحت القراءات التي يصح القراءة بها في الصلاة وفي خارجها هي قراءات سبع – كما سبق – ما عداها شاذ ، لا يصح القراءة بها ، وإن كان يصح دراستها والإفادة منها في دراسة تاريخ العربية وظواهرها المختلفة ، وخاصة القراءات الأربع الزائدة عن العشر ، وقد خصصت لها رسالتي للدكتوراه بدار العلوم ١٩٨٣ م .

على أية حال فإن هؤلاء القراء العشرة والأربعة الزائدة عن العشرة ، كان لهم تلاميذ كثيرون ، اختار العلماء لكل واحد منهم تلميذين فقط ، يسميان بالراويين ، مثل حمزة بن حبيب الزيات ، راوياه ، هما :

- خلف بن هشام البزار ، ت ٢٢٩ هـ .
- خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي ، ت ٢٢٠ .

ولكن هذه القراءات كلها والروايات لم يبق منها غير ثلاث روايات فقط ، يقرأ الناس بها ، وتطبع بها المصاحف :

١- رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود ، أي حفص بن سليمان بن المغيرة ، الأسدي الكوفي ، ت ١٨٠ هـ ، وهي أشهر الروايات التي يقرأ بها المسلمون في شتى أرجاء المعمورة ، وقد فسرنا في كتابنا (الأصوات في رواية حفص عن عاصم) أسباب ذيوع هذه الرواية وانتشارها .

٢- رواية ورش – عثمان بن سعيد ت ١٩٧ هـ - عن نافع ابن أبي نعيم ، وهي موجودة في مصر والمغرب وغرب القارة الأفريقية ، وكانت في الأندلس قبل ذلك .

٣- رواية قالون – عيسى بن مينا ت ٢٠٥ هـ عن نافع ، ويختص بها غالبية أهل ليبيا وموريتانيا ، وبعض أهالي تونس والجزائر .

بقيت رواية رابعة ، هي رواية الدوري – أبي عُمَر – حفص بن صهبان ت ٢٤٦ هـ عن أبي عمرو بن العلاء ، وهي موجودة في بعض مناطق السودان وتشاد ، ولكنا لم نر لها مصحفا ، أو لم نعرف أن مصحفا لها طبع ، مثل الروايات الثلاث السابقات روايات (حفص – ورش – قالون) التي لها الآن مصاحف مطبوعة .

نعود إلى القراء لنقول : إذا كان الله قد اصطفى الأمة الإسلامية من بين الأمم ، فقد اصطفى من هذه الأمة قراءها ، فهم خيار من خيار ، ليس الزيات وحده الذي رأى بشارة ، أو رؤيت له بشارة ، وإن كانت بشارته في أعلى عليين ، أو هو كالكوكب الدري في الجنان ، ونذكر الآن بعض الرؤى الصادقة لغير حمزة من قراء القرآن الكريم :

١- نافع بن أبي نعيم : كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ، فقيل له : تتطيب كلما قعدت تقري الناس ؟ قال : ما أمس طيبا ، ولا أقرب طيبا ، ولكني رأيت فيما يرى النائم النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يقرأ في فيَّ – فمي – فمن ذلك الوقت وأنا أشم من فيَّ هذه الرائحة (١٤٢) .

وقيل لنافع أيضا : ما أصبح وجهك وأحسن خلقك ؟ قال : كيف لا أكون كذلك ، وقد صافحني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليه قرأت ، يعني في المنام (١٤٣).

١- أبو الخير ، د. أحمد : قراءة المدينة في القرن الأول الهجري ، دراسة صوتية تاريخية ، ماجستير غير مطبوعة ، دار العلوم ١٩٧٧ ، انظر ص ٣٠ .
٢- السابق .

٢- أما شيخ نافع ، أي يزيد بن القعقاع فقد رئي بعد وفاته في صورة حسنة ، فقال لرائيه : " بشر أصحابي وكل من قرأ قراءتي بأن الله قد غفر لهم (١٤٤) ، وأجاب فيهم دعوتي ، وأمرهم أن يصلوا هذه الركعات في جوف الليل كيف استطاعوا (١٤٥) "

٣- قال سفيان بن عيينة : رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المنام ، فقلت : يا رسول الله قد اختلفت عليَّ القراءات ، فبقراءة من تأمرني أن أقرأ ؟ قال : اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء (١٤٦) .

وبعد هذه الاستطرادة نعود مرة أخرى للتعريف بابن حبيب الزيات ، فنقول : ولد سنة ٨٠ هـ ، وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم بن أبي النحود (ت ١٢٧ هـ) وأستاذه سليمان بن مهران الأعمش (١٤٧) الذي سنفصل الحديث عنه بعد ذلك .

كان حمزة – رضي الله عنه – ثقة كبيرا حجة رضيا قيما بكتاب الله مجودا عارفا بالفرائض والعربية حافظا للحديث ، ورعا عابدا خاشعا ناسكا زاهدا قانتا لله ، لم يكن له نظير ، قال له الإمام أبو حنيفة :" شيئان غلبتنا عليهما ، لسنا ننازعك عليهما ، القرآن والفرائض " وكان شيخه الأعمش إذا رآه يقول :" هذا حبر القرآن " وقال حمزة :" ما قرأت حرفا في كتاب الله إلا بأثر (١٤٨)" ولهذا كله استحق حمزة – رضي الله عنه – أن يرى ربه يبشره بكل هذي البشارات السابقات .

وبرغم مكانته العظيمة تلك فقد كان يتاجر في الزيت ، ومن ثم لقب بالزيات ، الذي كان يجلبه من الكوفة إلى حلوان (١٤٩) العراق ، والتي توفي بها سنة ١٥٦ هـ ، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة ، وعندما مات على بن حمزة الكسائي – ت ١٨٩ هـ - رؤى في النوم كأن وجهه البدر ، فسُئل : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بالقرآن ، ثم سُئل : ما فُعل بحمزة الزيات ؟ قال : ذاك في عليين ، ما نراه إلا كما يرى الكوكب الدريّ (١٥٠) .

وبعد هذا الذي قيل عن حمزة في عليين كأنه الكوكب الدري ، ننتقل إلى شيخه سليمان بن مهران المشهور بالأعمش الذي ولد يوم مقتل الحسين بن علي – رضي الله عنهما ، عاشر المحرم سنة ٦١ هـ ، قال عنه سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) :" منذ ولد الأعمش عز الإسلام " نعم لقد كان

٣- القسطلاني : لطائف الإشارات لفنون القراءات ، ص ٩٧ .
٤- ابن الجزري : النشر ١٨٨/١ .
١- السابق ١٣٤/١ .
٢- ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ١٦٦/١ .
٣- السابق .
٤- وهي غير حلوان مصر التي تقع جنوب القاهرة .
١- المضيء.

سليمان بن مهران فصيحا لم يلحن قط ، بقى قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى مع الإمام ، وكان شعبة إذا ذكر الأعمش قال :" المصحف المصحف ، سماه بهذا لصدقه ، وكان يسمى سيد المحدثين [١٥١] .

أما السخاوي فيقول :" لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم من مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره [١٥٢] " وعن عيسى بن يونس أيضا :" ما رأينا في زماننا مثل الأعمش ، ما رأيت الأغنياء والسلاطين في مجلس أحد أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم [١٥٣]".

جاء رجل من الشام فسأله الأعمش : كيف تركت بني أمية ؟ ولم يملك الرجل إلا أن يقول : تركتهم بخير ، ولكن الإمام يرد بقوله : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب .

أرسل إليه أحد الأمويين يسأله أن يكتب له مناقب عثمان ومثالب عليّ ، وكان إلى جانبه شاة فألقى إليها الرسالة فأكلتها ، ولكن المبعوث الأموي ألح في تلقي الإجابة ، فقال الإمام :" لقد رأيت إجابتي " ويلح الناس على الأعمش متوسلين له :" إنك تشيط بدمك " أي يمكن أن يقتل ويهدر دمه ، والرجل لا يلين ، غير أن الناس ألحوا مرة أخرى بأن هذا المسكين سوف يقتل إن رجع بدون إجابة ، وعندها رق الإمام فكتب للسائل :" اعلم يا فلان " ذكره باسمه ، ولم يلقبه بأمير المؤمنين : (اعلم أن مناقب عثمان لو كانت ملء الأرض لن تفيدك شيئا ، واعلم أن مثالب عليّ لو كانت ملء الأرض لن تضرك شيئا " .

جاء الحجاج بن أرطاة فاستأذن على الأعمش بقوله :" قولوا له أبو أرطاة بالباب " فقال الإمام :" أيكتني عليّ ! " فلم يأذن له ، لقد اعتبر الأعمش أن اكتناء هذا الرجل عن نفسه وبنفسه يجافي الأدب ، لأنه علامة كبر إذ الأولى والأجدر أن يكنيه غيره ، أي يناديه بكنية غيره ، وليس هو نفسه[١٥٤].

وبرغم هذا كله فقد كان لين الجانب ذا دعابة مع أصحابه والمقربين إليه لقد كان معاصرا للإمام أبي حنيفة صاحب المذهب الذي زاره مع آخرين في مرض له ، وعندما أطالوا المكث معه حمل وسادته على رأسه قائلا لزواره : " شفى الله مريضكم فقوموا " أي انتهت الزيارة بشفاء المريض الذي جئتم لزيارته .

٢- أبو الخير ، د. أحمد : قراءة الأربعة الشواذ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، دار العلوم ١٩٨٣ ، انظر ص ٤٨ .
٣- السابق .
٤- ابن الجوزي ١١٧/٣ .
١- ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٨/٦ .

وفي زيارة أخري سأل الإمام أبو حنيفة صاحبة الأعمش: " هل أثقلنا عليك في الزيارة ؟ " يرد ابن مهران على ضيفه : " بل أنتم في بيوتكم أثقل علىَّ " وهو ما يدل على عمق الصلة بين الإمامين .

وغضبت زوجة مرة فسعى أحد تلاميذه للصلح بينهما ، فقال لها :" لا تنظري إلى عموش عينيه وحموش (١٥٥) ساقيه؛ فإنه إمام" غضب الرجل ونهر تلميذه قائلا له :" قم ، والله ما أراك إلا دللتها على عيوبي " بقى أن نذكر أن الأعمش كان مولى بني كاهل (١٥٦) ، وبرغم هذا ، وبرغم كونه من الموالي إلا أن هذا لم يحل بينه وبين أن يتبوأ هذه المكانة في المجتمع العربي الإسلامي حتى قيل : " منذ ولد الأعمش عز الإسلام " هذه حضارتنا التي ترفع من مكانة المسهمين الحقيقيين فيها ، دون نظر إلى أصل وفصل ، وطبقة دون أخرى ، أو فقر أو غنى .

ومن ناحية أخرى فقد لقب الإمام بالأعمش لإصابته بالعَمَش ، وهو" ضعف البصر مع سيلان دمع عينيه في أكثر الأوقات " ومع هذا لم يحل هذا العَمَش بين الرجل وبين الاندماج في المجتمع ، وأن يتقبله المجتمع هذا القبول الحسن ، قيمة أخرى تضاف إلى قيم حضارتنا الراسخة الراقية ، والتي تهتم بالناس كل الناس اهتماما صادقا ، بلا رياء ولا مراءاة ، ولكن حضارة الغرب واللاهثين خلف حطامها وفتاتها ومخلفاتها تذكروا بعد دهر أو دهور ، تذكرت

١- حكي أن الإمام الشافعي – رضي الله عنه – لما كانت أمه حاملا به رأت في منامها كأن الكوكب الذي يقال له المشتري قد خرج منها ونزل بمصر ، ثم فرقع فرقعة وطار منها شرر عظيم كالقِطع ، فلم تبق مدينة ولا قرية إلا وساد فيها علمه ومذهبه (١٥٧).
٢- ويحكى أن الإمام الحسين بن على– رضي الله عنه –رأي في المنام كأنه كتب بين عينيه سورة الإخلاص ، فأرسل إلى سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ، فقصها عليه ، فقال : إن صدقت رؤياه فإنه سيموت سريعا ، يقول النابلسى (١٥٨) معقبا : " فمات الحسين غريبا " في كربلاء .
٣- وذكر رجل من الأزد أن أحد عظماء قبيلته صلى معهم صلاة العشاء الآخرة صحيحا بصيرا ، فأصبح وهو أعمي ، فأتيناه وقلنا له : ما هذا الذي طرقك (١٥٩) ، قال : أوتيت في منامي فأخذت، فذهب بي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإذا هو قاعد وبين يديه طست

١- دقة الساقين ، فقد كان الأعمش نحيلا جداً.
٢- ابن سعد : ٣٦٧/٦
١- ابن سيرين وجعفر الصادق: ص ٢١، ٢٢ .
٢- ٣٦/١ .
٣- أصابك .

مملوء دما ، قال : إنك كنت ممن قاتل الحسين ؟ قلت: نعم فأخذ أصبعي هاتين – يعني السبابة والوسطى – فغمسهما في الدم ، ثم مال بهما هكذا في عيني، وأومأ بإصبعيه ، قال فأصبحت لم أبصر شيئا(١٦٠) .

٤- وحكي أن رجلا جاء إلى ابن سيرين قائلا له : رأيت كأن رجلا قائما وسط مسجد البصرة متجرداً ، بيده سيف ،يضرب به الصخر فيفلقها ، فقال ابن سيرين : ينبغي أن يكون هذا الرجل الحسن البصري ، فقال الرجل هو والله ، قال ابن سيرين : قد علمت أنه الذي تجرد في الدين أي لوسط المسجد(١٦١) ، وأن سيفه الذي كان يضرب لسانه الذي يفلق بكلامه الحجر بالحق في الدين (١٦٢) .

والآن نستأذن القارئ في وضع بعض الرؤى التي جاءت في كتاب الروح لابن القيم (١٦٣) :

١- الإمام عليّ يقتص : كان رجل يسب أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – وما أن انتهى الناس من صلاة الصبح في مسجد سيدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أقبل هذا السابّ للصاحبين وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه ، يا إلهي ! ماذا فعل الله به ولماذا وكيف ؟ ويجيب الناس الذين سألوه عن قصته ، هذه هي الحكاية ، يقصها صاحبها :

رأيت البارحة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليّ بن أبي طالب بين يديه ، ومعه أبو بكر وعمر ، فقالا : " يا رسول الله ، هذا الذي يؤذينا ويسبنا " فقال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " من أمرك بهذا يا أبا قيس ؟ " .

ويزج الرجل باسم أمير المؤمنين على بن أبي طالب – رضي الله عنه - إنه يدعى زورا وإفكا وبهتانا ، ويقول : " عليٌّ " مشيرا إليه ، وهنا يقبل عليه أمير المؤمنين بوجهه ويده ، وقد ضم أصابعه ، وبسط السبابة والوسطى ، وقصد بها إلى عينيّ أبي قيس قائلا له : " إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك " وأدخل أصبعيه في عينيه، وينتبه أبو قيس من نومه ليجد عينيه قد اقتلعتا من مكانهما لتسيل على خديه ، يبكي وهو يخبر الناس ، ثم أعلن التوبة .

٢- دَيْن اليهودي (١٦٤) : كان صعب بن جثامة وعوف بن مالك متآخيين ، فقال صعب لعوف – رضي الله عنهما : " أي أخي ، أينا مات قبل صاحبه فليتراء له " أي يحاول أن يراه في المنام ، ويقول عوف لأخيه : " أو يكون ذلك ؟ " نعم يكون ذلك .

٤- ابن سيرين ، ص/١٢١.
١- في قيامه وسط المسجد بتجرده للدين والدفاع عنه .
٢- ابن سيرين، ص/٧٣ .
٣- ص ١٩٨ .

ويموت صعب ويراه أخوه عوف فيما يرى النائم فيسأله : " أي أخي ، ما فعل بكم ؟ " قال : " غفر لنا بعد المصائب " ولكن عوفا يرى في عنق أخيه مصعب لمعة سوداء ، فيتساءل : " أي أخي ، ما هذا ؟ " قال : عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي ، فهن في قرَني[١٦٥] ، واعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بنا خبره ، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام ، واعلم أن بنتي تموت بعد ستة أيام ، فاستوصوا بها معروفا .

وعندما أصبح عوف ذهب إلى بيت أخيه ، فنظر إلى القرَن فأنزله فرأى الصرة التي فيها الدنانير ، فبعث بها إلى اليهودي ، فهذه واحدة أما الثانية فإن هرة في البيت ماتت قبل أيام ، ثم سأل أين ابنة أخي ؟ قالوا : تلعب ، ثم أتى بها فمسها فإذا هي محمومة ، فماتت في ستة أيام .

٣- رؤيا العباس [١٦٦] - قال العباس بن عبد المطلب : كنت أشتهي أن أرى عمر بن الخطاب في المنام فما رأيته إلا قرب الحول ، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغي ، إن كاد عرشي ليهد ، لولا أن لقيت رءوفا رحيما .

٤- صاحب الوقيعة [١٦٧] في عليّ : سار الرجل الشامي بين الناس قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه ، وعندما سئل عن هذا قال : " قد جعلت الله عليَّ أن لا يسألني أحد عن ذلك إلا أخبرت به " .

يقول الرجل : كنت شديد الوقيعة في علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني آت في منامي ، فقال : أنت صاحب الوقيعة فيَّ ؟ فضرب شق وجهي ، فأصبحت وشق وجهي أسود كما ترى .

وبعد هذه المنامات والحكايات ندلف إلى الموضوع الذي يليه لننصح القارئ كيف يفسر حلمه؟.

١- ص ١٨ .
٢- القرن – بفتح القاف والراء بعدها – الجعبة يشق وسطها قدر فتر – بكسر الفاء وسكون التاء – أما الجعبة فهي وعاء السهام والنبال ، وأما (الفتر) فهو قدر ما بين طرف أصبع الإبهام وطرف أصبع السبابة إذا انفتحتا ، وهي تقدر حسب فتحة أصبعي بحوالي ٢٠ سم طولاً ، والفتر أقل من الشبر الذي أقدره بـ ٢٤ سم ويبدو أن هذا (القرَن) كان عبارة عن جيب سرية في جعبة السهام تخبأ فيه الأموال حتى لا يصل إليها أحد خاصة من أهل البيت ، وإلا فإن هذه الجيب السرية لو كانت معروفة لدى أهل البيت لوصلوا إلى الدنانير ، ولكن هذا المكان لم يعرف إلا من خلال المنام ، حيث دل الميت على مكان المال .
١- ص ٢٦ .
٢- ص ١٩٦ .

كيف تفسر حلمك

يجب أن نعرف مرة أخرى أن الهدف من هذه الدراسة ليس أن يتمكن المرء من تفسير حلمه، إن هذا تبسيط للموضوع وتقزيم للجهد ، لأن عملية التفسير ليست صعبة على الإطلاق ، بل هي سهلة جدا نشرح لك قواعدها وخطواتها ، ولكننا نساءل هل تفسير الأحلام اختلف عن أيام ابن سيرين (ت ١١٠هـ) أو عن زمن النابلسي في القرن الحادي عشر الهجري؟ [١٦٨]

نعم يجيب ابن سيرين عن هذا التساؤل بقوله : "واعلم انه لم يتغير من أصول الرؤيا القديمة شيء ،بل تغيرت حالات الناس في هممهم وآدابهم ، وإيثارهم أمر دنياهم على آخرتهم ، فلذلك صار الأصل الذي كان تأويله همة الرجل وبغيته،وكانت تلك الهمة دينه خاصة دون دنياه ، فتحولت تلك الهمة عن دينة وإيثاره إياه ، فصارت في دنياه وفي متاعها وفي غضارتها [١٦٩] ، وهي أقوي الهمتين عند الناس اليوم ، إلا أهل الدين والزهد في الدنيا ، وقد كان أصحاب رسول الله- صلى الله علية وسلم – يرون التمر فيتأولونه حلاوة دينهم ، ويرون العسل فيتأولونه القرآن والعلم والبرّ ، وحلاوة ذلك في قلوبهم وتلك الحلاوة صارت اليوم عند عامة الناس في دنياهم وغضارتها إلا القليل ممن وصفت"

هذا ما نص علية ابن سيرين ، ونحن نضيف بأن الناس الآن - إلا من عصم ربي- لا تكف عن ثلاثة أشياء :

- الصراع مع الآخرين
- التآمر ضد الآخرين
- التحريض والتأريش بين الآخرين

وفوق كل هذا وأهم من هذا المصلحة الشخصية المباشرة جداً أو ما يتصور أنة المصلحة الشخصية ، دون اعتبار لشيء آخر ، فإذا حدثت إنسانا عن مصلحة العمل أو صالح البلد فانه يعجب من هذه السذاجة والسطحية ، فهو أصم تماما عندما يسمع مفردات كهذه التي تطرق مسامعه، وعليه فان هذي الاعتبارات كلها تؤخذ في الاعتبار عند تفسير أحلام الناس اليوم .

أما عندما تحدثه عن الموت والحساب والآخرة فإن عظام المشركين النخرة هي أفهم لكل هذه الأشياء منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

على أية حال نعود سريعا إلى سؤالنا السابق : كيف تفسر حلمك ؟

١- ص١٣/١.
٢- الغضارة : السعة والنعمة.

١- اقرأ هذا الكتاب ، واكتب النصائح التي تنصح بها عندما ترى حلما مرعبا أو كابوسا.

٢- ومن الأشياء التي تعرف بها صدق الرؤيا أن يكون ما رايته معقولا مقبولا في منطق الناس ودنياهم ، فإذا رأيت مثلا انك أصبحت أصغر من نملة ، أوانك تدخل في سم الخياط ، أو تمر من ثقب الإبرة ، فهذا لا أصل له .

٣- إذا رأيت شيئا ما في المنام مثل (الكرسي) رأيت أنك اشتريت كرسيا سليما جيدا جدا ، فعليك أن ترجع إلى كتاب من كتب تفسير الأحلام لتعرف ما تفسير الكرسي في المنام ، إنه :" في المنام رفعة من قبل السلطان ، ومن رأي أنه جالس على كرسي فإنه يكون وكيلا أو وصيا وإن كان يصلح للسلطان تقلد سلطانا وولاية ونال رفعة [١٧٠] " .

٤- ولا يُكتفي بهذا ، بل تنظر في نفسك،إن كنت تسعى لوظيفة مرموقة ، أو منصب ، أو أنت مرشح لشيء منها فهي بشارة لك بتيسير الله لك

فإن كنت غائبا عن أهلك ، فان الله سيأذن لك بالعودة لتنال بغيتك ومرادك.

مثال آخر ، تقدم زميل للترقية ، في المرة الأولى رأي المفتاح مكسورا ، وبالفعل لم يوفق تلك المرة ، وفي الثانية رأي المفتاح سليما ، ولكن عليه شيء من التراب الخفيف وبالفعل رقي هذه المرة ، ويقول من شهد جلسة الترقية أنه حدثت معركة حامية ، وهذا تفسير التراب الخفيف على المفتاح .

وأرى أن أجدر الناس بتفسير المنام هو رائيه ، لأنه الأعلم والأدرى بتفاصيل أحواله ، فقد اشتري كلا الشقيقين قطعة أرض للبناء ، وفي ظل حال التآمر بين كثير من الناس أخفى كل من الشقيقين سعيه للحصول على ترخيص البناء ، برغم نقاء العلاقة بينهما التي تصل إلى الحميمية .

يا إلهي ، كيف هذا !! ولكن أباهما – رحمه الله – فضحهما ، أو فضح أحدهما ، عندما جاء إلى الآخر في المنام ليقول له : " أسرع في البناء ، لقد سبقك أخوك فلان" وعندها أسرع إلى شقيقة يسأله : " هل تسعى لاستخراج ترخيص بناء " ياربي ، إن كل شيء على ما يرام ، إنني لم أخبر أحدا من أشقائي أو شقيقاتي أو معارفي ، ولكن الأمر جد صحيح ، فكيف عرف شقيقي قال : جاءني أبى في المنام ... وقص عليه ما كان .

وفي ظل حالة التآمر والصراع والتأريش بين الناس وإفساد ذات البين جابه أحد عباد الله المساكين جبهة نفاق وتآمر سنوات طويلة مريرة، وفي النهاية تمكن من الشيطان الأكبر في جبهة

١- ابن سيرين والنابلسي معجم تفسير الأحلام ، القاهرة ٢٠٠٢، انظر ص ٥٢٠- ٥٢١

التآمر ، بعد أن كاد يقضى عليه الآخر ، وعندها ضربه بكل قوة بكلتا رجليه – وكل هذا طبعا في المنام – فألقاه على ظهره، وبجانب هذا المشهد كان في المنام أيضا سفينة من الخشب ، كأنه الجبل ، هذا الجبل من الخشب يمثل في المنام النفاق والمنافقين ، وكما هو معلوم في الأحلام الغالب هو المغلوب، لذا تمكنت الجبهة الأخرى من تحقيق هدفها .

وعندما تقدم شاب لوظيفة مرموقة كان يحتاج إلى شهادة حسن السير والسلوك من الوزارة المعنية ، هذه الشهادة غابت ، إلا أن الشاب رأي أن الشهادة في جيبه وأن فيها كلاما طيبا ، ولقد ذهب إلى رئيسه ليبشره ، الذي أجابه بأن الشهادة وصلت فعلا ، وفيها الموافقة المطلوبة .

أي أن رائي الحلم لا يعيش الأحلام أو يستغرق فيها ، بل يعيش الواقع ، فيفسر المنام حسب الواقع المعاش ، وليس العكس

والآن وقد فرغنا من كل ما أردنا قوله ، وبقرنا بطن الموضوع بقراً ، ولم يبقى لنا إلا خاتمة الدراسة .

الخـاتـمـة

عشنـا مـع الدراسـة التـي بقـرت موضـوعها بقـرا ، وحاولـت الإلمـام بكـل أطرافـه وشـوارده ومفرداته ، فما هو المطلوب والمؤجل الآن بعد هذه الدراسة المضنية ؟ نعم نحن بحاجة ماسة إلى ما يلي :

١- الاهتمام بكتب تفسير الأحلام ، تحقيقا علميا ونشرا حقيقيا لهذا التراث المهم أو لهذا الجزء المهم ، بل بالغ الأهمية من تراثنا .

٢- إن هذه الكتب تنقسم إلى قسمين قسم يرتب الألفاظ ترتيبا معجميا ، من الألف إلى الياء . وهو معجم مهم من معاجم العربية ، ولكنه معجم متخصص في ألفاظ تفسير الأحلام ، هذا المعجم يحتاج إلى تحقيق علمي أمين ، يفسر الألفاظ الغريبة التي لم تفسر ، بعد ضبطها والتحقق منها

٣- كما أننا بحاجة ماسة إلى دراسة المعاني الهامشية للألفاظ من خلال تفسيرها أو معناها في المنام ، إن هذه المعاني الهامشية تمثل وجهة نظر المجتمع في اللفظة التي تكون في الرؤيا المنامية.

فقد فرقت كتب تفسير الأحلام – مثلا- بين الساطور والسكين ، فالأول: " في المعجم رجل قوي شجاع ، مفرق بين الأمور ، سهلها وصعبها ، قاطع للخصومات ، ومن قاتله يفرقه الله في البلاد " أما السكين فشأنها مختلف :" هي في المنام دالة على خادم المكان ، والتصدي لنفع أهله[١٧١]..." كل هذا يمثل موقف المجتمع من كلتا الأداتين اللتين قد تتشابهان في أذهان بعض الناس،ولكن طريقة عمل كل منهما مختلفة ، فالساطور مخصص لكسر العظام وما يعسر على الإنسان قطعة ، أما السكين فإن عملها وإن كان القطع أيضاً ، فإنها تقوم بهذا العمل بهدوء وبرفق.

٤- أما القسم الثاني من هذه الكتب فيسير حسب الموضوعات ، أو بعبارة أخري يتكئ على نظرية الحقول الدلالية ، ومن هنا فإن هذا النوع من الكتب يحتاج إلى دراسة علمية من خلال نظرية الحقول الدلالية .

٥- وفوق كل هذا وقبل كل هذا يحتاج تراث تفسير الأحلام إلى القراءة والإطلاع عليه ومدارسته والنظر فيه من جميع جوانبه ، حتى لا يتحول إلى ركن منسي مهمل ، لا ينظر إلية العلماء أو الدارسون ، بل يترك للعامة ، أو لبعض العامة تحاول من خلاله تفسير أحلامها .

١- النابلسي ٢/٦/٣

٦- كما يحتاج هذا التراث أيضاً إلى محاولة تجديده ونفض الغبار عنه ، حتى يكون موائما ومواكبا لحركة الناس والمجتمع في اليقظة والمنام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وآلة وصحبة الأكرمين الأطهرين .

د. أحمد مصطفي أبو الخير
دمياط الجديدة (عروس المدن الجديدة) في ١٧ رمضان ١٤٢٦هـ
الموافق الخميس ١٩ أكتوبر ٢٠٠٥م
الموقع www.geocities.com/abu_elkher
البريد : abu_elkher@yahoo.com